مشروع القرن الثقافى

روايات مصرية للجيب

فى كل رواية متعة دائمة

د. نبيل فاروق

كوكتيل ٢٠٠٠

ثقافة الغد .. لشباب اليوم

49

جدى الحبيب

(وقصص أخرى)

Looloo
www.dvd4arab.com

- مع القـــرن الحادى والعشرين ..
- مع التطور السريع للعلوم والفنون والآداب .
- مع ضرورة أن تصبح المعرفة حتمية كالماء والهواء ..
- مع كل هذا جاءت كوكتيل 2000 ، بمثابة باب إلى المعرفة ..
- *إلى الحضارة ..*
- *إنها ثقافة الغد .. لشباب اليوم ..*

جاسوس نصف القرن

(دراسـة)

خمسون عامًا تمـر ، على أول ظهـور لأشهر جاسوس على الشاشة ، طوال نصـف قـرن من الزمان ، دون أن تنجح أية شخصية جاسوسية أخـرى فى منافسته ، أو حتى بلـوغ ذلك المستوى الذى بلغـه ، من عدد مشاهديه ، أو إيرادات أفلامه ، بدءًا مـن (دكتور نو) ، وحتى (كازينو رويال) ... العميل السرى ، أو الجاسوس البريطانى الأشهر (جيمس بوند) ، الذى يحمل الرقم (007) ، وهو ذلك الرمز الكودى المتميز ، الذى يعنى أنه يحمل تصريحًا دائمًا بالقتل ، دون الرجوع إلى رؤسائه ، بدأ كروايات أو قصص قصيرة ، لمبتكر الشخصية (أيان فليمنج) ، والذى كون الشخصية من مزيج من بعض الشخصيات ، التى التقى بها ، أو عمل معها ، عندما التحق بالمخابرات البحرية البريطانية ، فى زمن الحرب العالمية الثانية ... والطريف أن (فليمنج) كان شابًا عابثًا ، لأسرة إنجليزية عريقة ، يأست أمه من محاولة تقويم سلوكه ، أو حتى إقناعه بالعمل فى شركة الأوراق المالية ، التى تملكهـا الأسرة ، فسعت لإلحاقه بكلية عسكرية ؛ لعـل هـذا يساعده على الانضباط ، إلا أنه استغل وسامته الشديدة ، لإقامة علاقة مع زوجة مدير الكلية العسكرية ، أدى انكشاف أمرها إلى فصله من الكلية ، مما أجبره على العمل

Looloo www.dvd4arab.com

فى شركة الأوراق المالية للأسرة ، ولكن اندلاع الحرب العالمية الثانية أجبر الشركة على إغلاق أبوابها ، وخشيت الأم من عودة (فليمنج) إلى حياة العبث ، ومن اضطراره للالتحاق بالجيش ، والسفر إلى الجبهة ، فسعت لإلحاقه بوظيفة عسكرية إدارية ، عبر صديق للأسرة ، اتخذه سكرتيرًا خاصًّا ، فى المخابرات البحرية البريطانية ... وهناك تألقت قريحة (فليمنج) ، وظهرت مواهبه الفـذة ، فى ابتكار وسائل العمليات الاستخباراتية غير المعتادة ، والتخطيط للضربات على نحو غير متوقع ... وعلى الرغم من مواهبه ، لم يتجاوز (فليمنج) وظيفته كسكرتير عسكرى ، داخل المخابرات البحرية ، حتى وضعت الحرب أوزارها ، فتم صرفه من الخدمة ، ليعود مضطرًا للعمل فى شركة الأوراق المالية ، التى فتحت أبوابها مرة أخرى بعد الحرب ... فى تلك الفترة ، ابتكر (فليمنج) شخصية (بوند) ، الجـرىء ، المغـامر ، صاحب الشخصية المميزة ، واختار له اللهجة الاسكتلندية ، التى أعجبته من رئيسه المباشر ، فى فترة العمل فى المخابرات ... ومن مجموعة قصص قصيرة إلى رواية وأخـرى ، جذبت الشخصية انتبـاه واهتمام صناع السينما ، واختاروا قصة (دكتور نو) ، كأول عمل يقدم (بوند) على الشاشة ، والطريف أنهم اختاروا الممثل ذائع الصيت آنذاك (جريجورى بيك) ؛ لأداء دور (جيمس بوند) ، ولكن (بيك)

كانت له مطالب ، رفض المخرج الرضوخ لها ، فقرر أن يتحدّى شعبية (جريجورى بيك) ، ويختار ممثلاً جديدًا ؛ للعب دور (بوند) على الشاشة ... باختصار ، لقد راهن على الشخصية ، بأكثر مما راهن على النجم ... وعندما بدأ اختيار من يؤدى دور بوند ، لم يرق أى من المتقدمين للمخرج (تيرنس يونج) ، حتى إنه فكر فى إعادة التفاوض مع (جريجورى بيك) ، لولا أن ساقت إليـه الأقـدار (شين كونرى) ، الذى جذب بعض اهتمامه ، بلهجتـه الاسكتلندية المتميزة ، وقامته الرياضية الممشوقة ، إلا أنه لم يحسم قراره بشأنه تمامًا ، وبدأ التفكير فى (بيك) ، حتى بعد انصراف (كونرى) ... وكـان (يونج) منهمكًا فى التفكير أمام النافذة ، عنـدما شاهد (كونرى) ينصرف ، بقامة ممشوقة ، وخطوات واثقة قوية ، فهتف فجأة : « أريد هذا الرجل » ... وقد كان ... وفى عام 1962م ، ظهر أول أفلام (بوند) (دكتور نو) ، المأخوذ عن رواية بنفس الاسم ، كتبها (فليمنج) عام 1958م ، وقام ببطولته (شين كونرى) ، مع صاروخ الإغراء فى ذلك الحين (أورسولا أندرسن) ، حيث دارت الأحداث فى (جاميكا) ، وهناك يتصدى (بوند) للعدو (دكتور جولياس نو) ، الذى يعترض إطلاق الصواريخ الأمريكية ، بموجات راديو قوية ... لم تكن رواية (دكتور نو) هى أول روايات (فليمنج) عن شخصية (بوند) ، وإنما كانت روايته

www.dvd4arab.com

الأولى هى (كازينو رويال) ، والتى لم تنتج سينمائيًا إلا بعدها بعشرات السنين ، ولكن (دكتور نو) كانت بداية الانطلاق لشخصية (بوند) فى عالم السينما ، ولعدد آخر من شخصيات حاولت تقليده ، فى سينما الجاسوسية ، ولكن تركيبتها لم تحقق النجاح ذاته ... ولقد تعاقب عدد من الممثلين على أداء شخصية (بوند) ، خلال نصف قرن ، فمن بداية الشخصية سينمائيًا ، مع (شين كونرى) ، ثم محاولة إحلاله بالممثل المسرحى (جورج ليزنبى) ، فقط لمجرد التشابه الشكلى بينهما ، ثم فشل (ليزنبى) بعد فيلم واحد ، واختيار (روجر مور) ، بطل الحلقات التليفزيونية (القديس) ، للعب دور (بوند) لعدة سنوات ، ثم (تيموثى دالتون) ، وبعده (بيرس بروسنان) ، ثم (دانيال كريج) ... تعاقب من أدوا الدور ، وبقيت شخصية (بوند) تتحدى عالم سينما الجاسوسية ، وتنتقل من نجاح إلى نجاح ، على نحو تحول إلى أسطورة على الشاشة ، تصعب منافستها ، بعد نجاح دام واستقر لنصف القرن ... وعلى الرغم من أن (بوند) يمثل التيار الكلاسيكى النمطى ، فى شكل وطبيعة الجاسوس ، ومن أن عشرات الشخصيات الأخرى قد سعت لمواكبة التطور ، ونجحت فى رسم صورة مغايرة للجاسوس ، إلا أن شخصية (بوند) بقيت مطلوبة على الشاشة ، بكل كلاسيكيتها ونمطها ، فهو الجاسوس الوسيم ، الحذر ، الذكى ،

صاحب العقلية الثعلبية ، والمهارات التى لا حدود لها ، والذى يواجه دومًا شخصيات غير عادية ، لكل منها نمط غير تقليدى ، وتسعى كلها إلى هدف واحد ، الا وهو السيطرة على العالم ، على نحو أو آخر ... فالجمهور أحب (بوند) على ما هو عليه ، وعشق دهاءه ، وذكاءه ، وسعة حيلته ، وحتى شغفه بالجميلات ، والملابس الأنيقة ، والأجهزة الحديثة المبتكرة ، التى يفاجئ بها جمهور السينما دومًا ، فى مواجهاته مع الآخرين ... المدهش أن معظم الابتكارات ، التى ظهرت فى عالم (بوند) ، والتى بدت مبهرة فى حينها ، قد صارت اليوم سلعًا متاحة ، على شبكة الإنترنت ، لأى مستهلك عادى ، ولم تعد مبتكرات (بوند) هى التى تثير المشاهد ، وإنما (بوند) نفسه ، والذى ينتظر الكل فيلمه القادم فى شوق ولهفة ، دلالة على نجاح الشخصية المبهر ، خلال نصف قرن ... وعلى الرغم من النجاح الكبير لأفلام (جيمس بوند) ، فى المجتمعات العربية على وجه العموم ، والمجتمع المصرى على وجه الخصوص ، إلا أن شاشات السينما لدينا لم تنجب بعد أية شخصية مماثلة ، ربما لأن القانون يفرض مراجعة الأجهزة الاستخباراتية والأمنية لمثل هذه الأعمال الدرامية ، على الرغم من ضعف الثقافة الدرامية لدى رجال الجهات الأمنية والاستخباراتية فى هذا الشأن ، وحساسياتهم المفرطة تجاه كل ما يتعلق بهم ، وإصرارهم على

www.dvd4arab.com

أن كل ما لا يتوافق مع الحقيقة والواقع ، بنسبة مائة فى المائة ، يسيئ إليهم وإلى أجهزتهم ، على الرغم من أننا لم نسمع أو نقرأ دراسة واحدة ، تشير ، أو حتى توحى بأن أفلام (جيمس بوند) أو مثيلاتها ، قد أساءت إلى جهاز المخابرات البريطانى ، أو الأمريكى ، أو أى جهاز آخر ، بل على العكس تمامًا ، لقد زادت من انبهار العامة به ، ومن احترامهم له ، ولكنها مشكلة الرقابة دومًا ، أيًا كانت جهتها ، أنها تصر على تسييد فكرها ورؤيتها ، دون محاولة النقاش أو المراجعة ... وبغض النظر عن عدم وجود شخصيات سينمائية استخباراتية على الشاشة ، على الرغم من وجودها فى الأدب المطبوع ، فأفلام الجاسوسية على نحو عام ، لم تبلغ لدينا حد الفيلم المتقن ، بأى حال من الأحوال ، فقديمًا شاهدنا فيلم (جريمة فى الحى الهادى) ، والذى بدا فيه الجواسيس فى صورة ساذجة ضعيفة ، يسيل لعابهم على امرأة جميلة ، ويدمنون المواد المخدرة ، ويفقدون أعصابهم فى سرعة ، وكل ما يخالف طبيعة أصغر جاسوس ، فى أصغر دولة ، ورأينا فيلم (الجاسوس) ، لملك الترسو آنذاك (فريد شوقى) ، والذى حاول من خلاله تقليد أفلام وشخصية (بوند) ، حتى إنه اختار للبطل أن يكون ضابطًا فى القوات البحرية ؛ حتى يرتدى نفس الزى الذى ارتداه (بوند) ، فى بعض أفلامه ، وفى ذلك الفيلم شاهدنا الفنان (عزت العلايلى) يلعب

دور الجاسوس ، على النحو الذى يناسب الأفلام الهزلية ، بأكثر مما يناسب الأفلام الجادة ؛ إذ يرتدى معطف مطر ، ومنظار شمس أسود فى قلب الليل ، ولا تنقصه سوى لافتة توضع على صدره ، وعليها إشارة واضحة إلى أنه جاسوس .... ولكن أفلام الجاسوسية الأفضل ، لم تظهـــر على الشاشة ، إلا عقب حرب أكتوبر 1973م ، عندما ظهر أول فيلم عن الجاسوسية ، مأخوذ عن قصة حقيقية ، ومعالج بحرفية ، جعلته أفضل فيلم جاسوسية مصرى ، وربما حتى لحظة كتابة هذه السطور ، وهو فيلم (الصعود إلى الهاوية) ، والذى روى تفاصيل واحدة من أنجح عمليات المخابرات العامة المصرية ، قبيل حرب أكتوبر ... والفيلم الذى قام ببطولته الفنان القدير (محمود ياسين) ، مع النجمة الراحلة (مديحة كامل) ، وأخرجه (كمال الشيخ) ، تعامل ولأول مرة على الشاشة العربية ، مع عالم المخابرات بوعى واقتدار ، وبحرفية تتناسب مع الواقع الفعلى لذلك العالم المثير ، وفتح الباب لنوعية جديدة من دراما الجاسوسية ، والتى كان الفيلم هو نقطة التحول فى مسارها... وهذا يختلف بالتأكيد ، عما خرجت علينا به (نادية الجندى) ، من مجموعة من أفلام ساذجة المضمون ، ولكنها حققت نجاحًا جماهيريًا كبيرًا ، فقط لأنها تتحدث عن عالم المخابرات ، بكل غموضـــه وأسراره ... فى ذلك الحين ، ومع قلة عدد أفلام المخابرات ، على الشاشة

www.dvd4arab.com

الكبيـــرة ، فاجأ التليفزيون المصرى مشاهديه ، بواحـــد مـــن أروع مسلسلات الجاسوسية ، عبر تاريخ الدراما كله ، وهو مسلسل (دموع فى عيون وقحة) ، والذى قام ببطولته الفنان (عادل إمام) ، مع (معالى زايد) ، و(مشيرة) ، و(مصطفى فهمى) ، وروى قصة (أحمد الهوان) ، الذى حاول الإسرائيليون تجنيده ، عقب نكسة يونيو 1967م ، ولكنه لجأ إلى المخابرات المصرية ، الذى جعلته يتعاون معها ، على خداع العدو الإسرائيلى ، الذى وثق فى انتمائه إليه تمامًا ، حتى إنه منحه أحـــد أقوى وأحدث أجهزة الاتصال حينذاك ، والذى لم يكن ســـوى النسخة الأولية ، من الهاتف المحمول ، الذى يحمله كل شاب الآن ... حول المسلسل ، الذى كتبه الراحل المبدع (صالح مرسى) ، اسم (أحمد الهوان) إلى (جمعة الشوان) ؛ لأسباب أمنية صرفة ، وتعلقت عقول وقلوب شعب (مصر) ، من (الإسكندرية) إلى (أسوان) بمجموعـــة المسلسل ، الذى يطلق عليه الناس اسم (مسلسل جمعة الشوان) ، حتى إن الشوارع كانت تخلو من المارة ، فى زمن عرضه ، وتألق فيه (عادل إمام) ، وهو يؤدى دور الشاب البسيط ، الذى وجد نفسه أمام موقف يفوق إمكانياته ، فلجأ إلى مخابراته ، التى أدارت صراعًا عبقريًا مع العدو ، وربحته فى النهاية ، لتحقق انتصارًا جديدًا على المخابرات الإسرائيلية ... وتعود أهمية هذا المسلسل بالتحديد ، إلى أنه قد

وضع المشاهد أمام حالة جديدة من دراما الجاسوسية ، إذ لم يكتف عم (صالح) بنقل تفاصيل العملية الاستخباراتية ، وإنما صنع خلفية اجتماعية ممتازة لبطله (جمعة الشوان) ، وجعلك تشعر به ، وبحياته ، ومعاناته ، ومشكلاته ، وتتفهم مبررات سفره ، وتعامله مع مندوب المخابرات الإسرائيلية ، ثم تتفاعل مع موقفه ، عندما قرر ، مع كل ما يمر به من أزمات ، أن يتخلى عن كل إغراءات العدو ، ويمد يده إلى وطنه .. وكما كان فيلم (الصـــعود إلى الهـــاوية) عـــلامة فاصلة ، فى سينما الجاسوسية ، على الشاشة الكبيرة ، صار مسلسل (دموع فى عيون وقحة) ، علامة فاصلة فى دراما الجاسوسية ، على الشاشة الصغيرة ... فبعدها لم يكن من الممكن إنتاج مسلسلات ساذجة المعنى ، أو بسيطة المضمون ، وصار المسلسل هو النموذج ، الذى ينبغى أن تسير عليه المسلسلات التالية ... ولكن دراما الجاسوسية لم تحظ بعدها بالاهتمام الكافى ، على الرغم من نجاح مسلسل (دموع فى عيون وقحة) ، وإعادة عرضه أكثر من مرة ، فقد جاءت الأعمال التالية للمسلسل ضعيفة ، ودون المستوى ، مما أدى إلى انصراف المشاهدين ، عن هذه النوعية من الأعمال ، حتى عاد عم (صالح) مرة أخرى ... فذات يوم ، طالعتنا مجلة المصور بالحلقة الأولى ، من رائعة عم (صالح) ، ودرة دراما المخابرات (رأفت الهجان) ،

www.dvd4arab.com

وهى رواية مأخوذة من واقع ملفات المخابرات المصرية ، عن شخصية (رفعت الجمال) ، الذى تم تجنيده ، فى زمن سابق لإنشاء المخابرات العامة رسميًا ، من أجل رصد تحركات اليهود المصريين بعد الثورة ، خاصة أن (إسرائيل) كانت تشعر أن الثورة المصرية نقطة خطر فى مسارها ، وكان معظم اليهود المصريين يآزرونها ، فى ذلك الحين ، مما وضع فكرة زرع عين للأمن وسطهم ، ومع سقوط (رفعت) فى قبضة الأمن ، ومع ما يتمتع به من ذكاء ، وبراعة ، وقدرة على الاحتيال على الآخرين ، تم إقناعه بالعمل لحساب الأمن المصرى ، مقابل العفو عن بعض تجاوزاته السابقة ، ثم ومع نجاح تقمصه ، واندماجه فى المجتمع اليهودى ، والذى تزامن مع قرار إنشاء المخابرات المصرية ، تم إعداده للسفر إلى (إسرائيل) ، كعميل مزروع هناك ؛ بحيث يصبح عينًا نافذة للمخابرات المصرية ، فى قلب المجتمع الإسرائيلى ... ولقد لاقت رواية عم (صالح) رواجًا مدهشًا ، ونجاحًا عظيمًا ، مما أسفر عن تحويلها إلى مسلسل تليفزيونى ، يعد الأشهر ، بين كل دراما الجاسوسية على الشاشة الصغيرة ، حتى يومنا هذا ، على الرغم من ميزانية إنتاجه المحدودة ، وديكوراته البسيطة ، ولكنه جذب المشاهدين من اللحظة الأولى ، مع مشهد موت البطل ، الذى بدأت به الأحداث ، والذى جمع النجمين (محمود عبد العزيز) و(يسرا) ، والذى

كان يفترض منه أن يكون بمثابة خطأ دراميًا إذ إنه ليس من الطبيعى ، أن تتابع دراما جاسوسية ، ينبغى أن تشعر فيها بالقلق على البطل ، فى حين أنك تعلم ، من المشهد الأول ، أنه قد مات فى فراشه ، فى سن متقدمة ، ودون أن ينكشف أمره ولكن المشاهد حول وجهة تفكيره ، مع تلك البداية ، إلى سؤال مختلف تمامًا ، وهو : كيف نجح فى أن ينتحل شخصية يهودى ، ويحيا كل هذا الوقت فى (إسرائيل) ، ويكون كل هذه العلاقات ، دون أن ينكشف أمره ؟!... ولأن الأحداث قد انتقلت ، من هذه المفاجأة الأولى ، إلى متابعة كيفية العثور على (رفعت الجمال) ، أو (رأفت الهجان) ، كما أسماه عم (صالح) ، ومبررات اختياره ، وخطوات تدريبه على مهمته ، فقد شغف المشاهد بهذا العالم الغامض ، وأساليبه الدقيقة غير المباشرة ، وانبهر بتطورات الموقف ، وسيطرة المخابرات المصرية على رقعة اللعبة ، فى كل خطواتها ، وانحبست أنفاسه مع المواقف ، التى واجهت (رأفت) ، فى مرحلة إعداده ، وتلاحقت نبضاته ، مع كل مواجهة ، مع عيون (الموساد) فى (مصر) ... واخيرًا رقص الكل طربًا ، مع مشهد النهاية ، عندما كان (رأفت) يودع رجل المخابرات (محسن ممتاز) ، قبيل رحيل سفينته من (مصر) مباشرة ... ومرة أخرى خلت الشوارع من المارة تقريبًا ، وصمتت الأصوات فى المقاهى ، مع زمن عرض الجزء

www.dvd4arab.com

الأول من (رأفت الهجان) ، ونجح عم (صالح) ، للمرة الثانية ، فى أن يصنع من الجاسوس شخصية ثلاثية الأبعاد ، تشعر بها ، وتعيش معها ، وتتعاطف مع كل خطوة لها ، وتفرح بنجاحها ، وتحزن كلما واجهت الخطر ... الأهم من هذا أن مسلسل (رأفت الهجان) ، وما صاحبه من نجاح مبهر ، قد أعاد الحيوية فى قوة ، إلى دراما الجاسوسية ، سواء على الشاشة الكبيرة ، أو الصغيرة ، وشهدت السينما موجة من أفلام الجاسوسية ، منها تلك الأفلام التى أشرنا إليها من قبل ، للفنانة (نادية الجندى) ، مع أفلام استغلت نجاح (محمود عبد العزيز) ، فى أداء دور الجاسوس ، مثل (إعدام ميت) ، وأفلام أخرى للفنان (نور الشريف) وغيره ... ثم جاء الجزء الثانى من مسلسل (رأفت الهجان) ، والذى يبدأ بوصوله إلى (إسرائيل) ، ومراجعة الأمن له هناك ، ثم سار معه فى مشوار حياته ، حتى استطاع مد جذوره فى المجتمع الإسرائيلى ، وما صحب هذا من علاقات عاطفية ، خلبت لب المشاهد ، وسحرته بعالم من الغموض ، والأسرار ، والرومانسية ، والمغامرة ، والخطر ... وكالمعتاد ، سال لعاب عدد من كبار الفنانين ، على دراما الجاسوسية ، وانضم إليهم المخرجون ، وشركات الإنتاج ، وبدأ التهافت على أعمال عم (صالح) ، فظهرت مسلسلات مثل (الحفار) ، والذى لم يحظ بأى نجـــاح يذكر ، على الرغم من قوة مؤلفه

(صالح مرسى) ، وقوة العمل الأدبى المطبوع ، و(الثعلب) للكاتب (إبراهيم مسعود) ، والذى لاقى المصير نفسه ، مع عدد من أفلام السينما ، التى لم ترق أبدًا لمستوى أول أفلام دراما الجاسوسية الحقيقية (الصعود إلى الهاوية) ... ومع عرض الجزء الثالث من (رافت الهجان) ، والذى لم يلق نفس نجاح الجزأين السابقين ، كانت هناك عدة أعمال من دراما الجاسوسية ، على الشاشتين ، تحاول التفوق عليـــه ، أو حتى اللحاق به ، إلا أنها ، وعلى الرغم من ضعف الجزء الثالث عما سبقه ، لم تستطع الفوز بنصيب إلى جواره ... ثم ، ومع نهاية التسعينيات ، هدأ سباق دراما الجاسوسية إلى حد ما ، وانشغل الكل بدراما الفساد السياسى ، التى صارت سمة من سمات ذلك العصر ، وراحت الشاشتان تتحولان إلى صرخة شعب ، يجأر مما يحيط به من فساد ، كاد أن يسلبه حتى الانتماء لوطنه ... ثم فجأة ، ومع الألفية الثالثة ، دبـــت الروح مـــرة أخـــرى فى دراما الجاسوسية على الشاشتين ، وعادت مسلسلات الجاسوسية تشق طريقها ، وسط سباق الدراما الرمضانية ، والتى صارت الدراما الوحيدة ، التى يسعى إليها منتجـــو الشاشة الصغيرة ، ولكـــن الأعمـــال هذه المرة ، على الرغم من ميزانية إنتاجها الضخمة ، التى تفوق بخمسين ضعف على الأقل ، ميزانية الجزء الأول من (رأفت الهجان) ، ومن حشد عدد هائل من النجوم فيها ، ومن

Looloo
www.dvd4arab.com

مشاهدها العديدة ، التى يتـم تصوير معظمها خارج (مصر) ، لم تكن بنفس جودة ونجاح المسلسلات القديمة ، ربما لأن مخرجيها ، على الرغم من تاريخهم العريق ، لم يحاولوا فهم واستيعاب قواعد ونظم المخابرات ، والاستعانة بمن يرشدهم إليها ، كما كان يفعل (كمال الشيخ) و(يحيى العلمى) قديمًا ، لذا فقد جاءت التصرفات الأمنية فى المسلسلات الحديثة ، أقرب إلى تصرفات البحث الجنائى ، منهـا إلى تصرفات استخباراتية دقيقة ومدروسة ، وبدا بعضها ساذجًا ، إلى حد لا يصلح حتى لخفير نظامى ، فما بالك برجال مخابرات ، يواجهون خصومًا محترفين طوال الوقت !!... والأمـر الذى أثار المشاهدين ، فى دراما الجاسوسية الجديدة ، هى انفصال المشاهد عن زمن الأحداث ، على نحو لا يمكن وصفه إلا بأنه مستفز ، فالأحداث تدور فى الستينيات ، أو أوائل السبعينيات ، وعلى الرغم من هذا ، يستخدم من فيها سيارات حديثة ، تعـود إلى الألفيـة الثالثة ، ويجرون اتصالاتهم بهواتف محمولة ، لم توجد قبل التسعينيات ، وعبر أجهزة فاكس ، تم اختراعها فى الثمانينيات ، ويسيرون فى شوارع بها لوحات رقمية مضيئة ، وفى محال تستخدم أجهزة كمبيوتر محمولة ومتطـورة ، ثم يدور الحديث طـوال الوقت باعتبار أن كل هذا يعد لحرب أكتوبر 1973م ، وكأن المشاهد سيساير الأحداث ، أو يغض النظر عما يراه ... وهكذا حققت

دراما الجاسوسية فى (مصر) ، حالة فريدة من نوعها ، فى أى مكان فى العالم ، إذ بدأت قوية جذابة ، ثم راحت تنحدر ، حتى صارت هزيلة هزلية ... كل هذا و(جيمس بوند) ، الذى تتطوّر أفلامه فى سرعة وقوة ، مازال يواصل نجاحه ، ويواصل جذب المشاهدين ، وحصد الإيرادات ، وإثبات أنه ، وعلى الرغم من كل الانتقادات ، التى وجهت له عبر تاريخه ، مازال أشهر وأنجح جاسوس عرفته السينما ، فى كل عصورها .... الجاسوس الذى حصل هذا العام على لقب لم يفز به أحد من قبل ... لقب (جاسوس نصف القرن) .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الستار الأسود

(سلسلة داخل سلسلة)

2

1 ـ حبيبتى ...

« حبيبى » ...

امتلأ قلبى بتوتر شديد ، عندما سمعت صوتها يناديني ...

فى الماضى ، كان قلبى يختلج فرحًا ، كلما سمعت صوتها ، فى أية لحظة من الليل أو النهار ....

كنت أحبها ...

أحبها من كل قلبى وكيانى ...

وكنت أعشق صوتها العذب ، كلما نطق باسمى ، أو همس بحبى ...

أما الآن ، فالأمر يختلف ...

لم أشعر بها وهى تقترب منى ، ولكننى حاولت تجاهل هذا ، متظاهرًا بالانهماك فى الرسم الهندسى ، الذى يفترض أن أقدمه لرئيسى ، فى الصباح الباكر ، ولكننى لم أستطع السيطرة على التوتر المتزايد فى أعماقى ، وخاصة عندما سمعت صوتها خلفى مباشرة ، وهى تهمس :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ اشتقت إليك .

تجاهلت عبارتها مرة أخرى ، لعلها تنصرف وتتركنى لحالى ، ولكنها واصلت ، دون أن تبالى بتجاهلى لها :

ــ أمازلت تعمل ، حتى ساعة متأخرة .

غمغمت فى توتر :

ــ المفترض أن أقدم هذا ، فى الصباح الباكر .

همست فى نعومة :

ــ ولكننى هنا .

انعقد حاجباى ، وأنا أقول ، فى توتر امتزج بشىء من الحدة :

ــ تأتينى دومًا دون موعد .

قالت فى نعومة :

ــ آتى كلما اشتقت إليك .

رأيتها تدور فى نعومة حــول مائدة الرسم ، وتنحنى لتلقى نظرة على الرسوم الهندسية ، قبل أن تبتسم ابتسامة كبيرة ، وتقول :

ــ تشبه فيلا أحلامنا .

فى الماضى كانت ابتسامتها هذه تسحرنى ، أما اليوم ...

« أمازلت تذكر أحلامنا ... »

قالتها بنفس النعومة ، فغمغمت ، محاولاً إبعاد نظرى عنها :

ــ كانت مجرد أحلام .

حمل صوتها رنة حازمة ، وهى تقول :

ــ الأحلام يمكن أن تصبح حقيقة ، مع قليل من الإرادة ...

نفس العبارة التى كانت ترددها على مسامعى دومًا ، عندما كنا معًا ...

نفس الرنة الحازمة فى صوتها ، والتى تشعرنى بأننى تلميذ ، يقف أمام أستاذته ، التى تلقنه درسًا فى الحياة ...

« الأحلام تتغير ، مع مرور الوقت ... »

قلتها فى شىء من العصبية ، فاعتدلت ترمقنى بنظرة غاضبة ، وهى تقول :

ــ يبدو أنك لم تعد تحبنى .

Looloo
www.dvd4arab.com

زفرت فى توتر ، قائلاً :

ــ أرجوك ... أنا منهك فى عملى .

رمقتنى بنفس النظرة ، قبل أن تقول ، فى شىء من الحدة :

ــ كنت تعدنى دومًا بأنك لن تحب سواى .

لم أحاول التعليق على عبارتها ، متظاهرًا بالانهماك فى الرسم ، فتابعت ، وحدتها تتزايد :

ــ لم تعد حتى ترغب فى التحدث إلىّ ..

غمغمت فى توتر :

ــ أهذا وقت الحديث عن الحب ؟!

قالت فى عصبية :

ــ كل الأوقات تناسب الحديث عن الحب .

قلت فى حدة :

ــ وماذا عن وقت العمل ؟!

مالت نحوى ، على نحو ضاعف من توترى ، وهى تقول :

ــ إنه أفضل وقت للحديث عن الحب .

كانت قريبة منى ، على نحــو أشعرنى ببرودة فى أطرافى ، فاعتدلت لأبعد وجهى عنها ، وأنا أقول :

ــ لو لم يتسلم رئيسى هذا الرسم صباح غد ، قد أفقد وظيفتى .

اعتدلت بادية الغضب ، وهى تقول :

ــ يبدو أنك قد نسيت أننى من ساعدك فى الحصول على هذه الوظيفة ، التى ترفض اليوم التخلى عنها من أجلى .

كنت أشعر بتوتر بالغ ، كلما نظرت إليها ، فى الأشهر الأخيرة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أجبرت نفسى على النظر إليها ، وأنا أقول :

ــ لم أنس بالتأكيد ، ولكن ....

لم أستطع إتمام عبارتى ، فقالت فى غضب :

ــ ولكنك نسيت بالفعل .

هززت رأسى ، قائلاً فى توتر ، كاد يبلغ ذروته :

ــ أنت تعلمين أن الظروف كلها تغيرت

Looloo
www.dvd4arab.com

اكتسى وجهها بغضب شديد ، وهى تقول :

ــ الظروف أم القلب ؟!

تطلعت إليها فى صمت ، ودون أن أنبس ببنت شفة ، فتابعت فى حدة :

ــ إنها (بثينة) .... أليس كذلك ؟!

شعرت بارتباك حقيقى ، وأنا أشيح بوجهى ، قائلاً :

ــ (بثينة) مجرد زميلة عمل .

خشيت حقًا النظر إلى وجهها ، وهى تقول :

ــ محاولة سخيفة .

أدرت رأسى فى بطء ، محاولاً النظر إليها ، وكل ذرة فى كيانى تمنعنى من هذا ، وحتى لسانى عجز عن قول أى شىء ، فأضافت هى فى غضب :

ــ تنسى أحيانًا أننى أستطيع رؤية الحقيقة فى عينيك .

مرة أخرى عجز لسانى عن النطق ، فدارت حولى بنفس النعومة ، وهى تقول :

ــ أسلوبك فى التعامل معها ، ونظراتك الحالمة إليها ، وصوتك المفعم بالحرارة ، عندما تتحدث إليها ... كل هذا لا يوحى أبدًا بأنها مجرد زميلة عمل .

غمغمت فى صعوبة :

ــ الواقع أننى ...

قاطعتنى فى حدة :

ــ الواقع أن تلك الحقيرة قد استغلت غيابى ؛ لتتقرب منك ، وتلقى شباكها حولك ، وتوقعك فى حبائلها ، وتحتل مكانى فى قلبك .

غمغمت فى عصبية :

ــ لا تصفيها بالحقيرة .

هتفت :

ــ أرأيت؟!

مرة أخرى أشحت بوجهى ، دون أن أجيب ...

كنت أعلم أنها ستكشف كذبى ، مهما قلت أو فعلت ..

www.dvd4arab.com

ولم أستطع أن أبوح لها بالحقيقة ...

فأنا بالفعل غارق فى حب (بثينة) ...

غارق فى عشق رقتها ، وحنانها ، وبساطتها ...

أذوب مع ابتسامتها العذبة ...

أهيم مع كلماتها الرقيقة الدافئة ...

أعشق مجرد التواجد معها فى مكتب واحد ...

إنها بالفعل حبيبتى ...

« لقد وعدتنى بأنك لن تحب سواى ... »

قالتها فى ضراعة باكية ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، فى محاولة لتهدئة أعصابى ، قبل أن أغمغم :

ــ أنت تعلمين أننى قد حاولت .

قالت فى مرارة :

ــ المحاولة لا تكفى .

غمغمت فى عصبية :

ــ انفصالنا لم يكن بإرادتى .

قالت فى لهفة :

ــ لو أنك تقصد المشاكل المادية ، فمن الممكن أن ...

قاطعتها فى حدة :

ــ تعلمين أننى لم أقصد هذا .

تراجعت فى أسى ، قائلة :

ــ أنسى أحيانًا .

التقطت نفسًا عميقًا آخر ، وقلت :

ــ لقد احتملت فترة طويلة ، ولكن من الضرورى أن أواصل حياتى .

رمقتنى بنظرة حزينة ، وهى تقول :

ــ مع (بثينة) ؟!

خفضت عينى ، وانا أتمتم فى توتر :

ــ هى أو غيرها .

Looloo
www.dvd4arab.com

صمتت لحظات ، قبل أن تقول فى حزن :

ــ هى أفضل من غيرها .

شعرت بصوتها يبتعد عنى ، وهى تضيف :

ــ كانت صديقة عمرى على الأقل .

بقيت صامتًا ، لا أحاول التعليق على عبارتها ، حتى انصرفت ، وأيقنت أنها لم تعد هناك ، فالتقطت نفسًا عميقًا آخر ، وتطلعت إلى لوحة الرسم الهندسى ...

نفس الحوار فى كل ليلة ...

ونفس النهاية ...

أعترف أننى كنت أحبها من كل كيانى ...

ولكن الحياة يتحتم أن تستمر ...

وتساءلت وأنا أعاود عملى : هل سينتهى هذا العذاب يومًا ، لو أننى تزوجت (بثينة) ، وواصلت حياتى ، أم إن حبيبتى السابقة ستواصل زياراتها اليومية لى ، منذ أن ....

ماتت .

* * *

2 ــ زهور الربيع ....

« هل تؤمن بالأشباح والعفاريت ؟!... »

لم يكد (برعى) يسمع السؤال ، من تلك الصحفية الشابة ، التى ألقته عليه فى اهتمام ، حتى انفجر يقهقه ضاحكًا ، وهو يشير بكلتا يديه ، قائلاً :

ــ أية أشباح وأية عفاريت يا آنسة ؟!... إننى تربى أبًا عن جد ، ولم أختبر مثل هذه الأشياء فى حياتى قط ، على الرغم من أننى أقيم وسط المقابر ، منذ وعيت عيناى الدنيا .

بدت الصحفية الشابة أكثر اهتمامًا ، وهى تسأله :

ــ إذن فأنت تعتبر كل هذا مجرد خرافات .

هتف فى حماس :

ــ بالتأكيد .

ثم مال نحوها ، مستطردًا :

ــ هذه أمور يتداولها العامة ، تعبيرًا عن خشيتهم من الموت ، أما نحن الذين نحيا مع الموت ، فهى لا تؤثر فينا قط .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالت الصحفية الشابة ، وهى تنهى حديثها :

ــ من الواضح أنه لديك فلسفة خاصة .

أشار بسبابته ، قائلاً :

ــ بل أنا رجل واقعى ، خبر الحياة طويلاً ، وليس لدىَّ مكان للخرافات ومخاوف الطفولة .

أنهت الصحفية الشابة حديثها ، وغادرته وهى تسرع الخطى ؛ حتى تخرج من منطقة المقابر ، قبل غروب الشمس ، فتابعها فى سخرية ، مغمغمًا :

ــ ويقولون إن الصحافة تتابع الأمور المهمة .

هز كتفيه مستنكرًا ، واستنشق الهواء فى قوة ، ثم سعل مرتين ، بسبب الأتربة التى تميز دومًا هواء موسم الربيع ، ودلف إلى منزله ، وهو يهتف بزوجته ، لتعد له طعام الغداء ...

ومع مهبط الليل ، ساد منطقة المقابر هدوء وسكون شاملان ، اعتادهما (برعى) منذ طفولته ، وجلس هو على باب منزله الصغير ، الذى يتوسط المقابر ، يدخن أنفاس الشيشة فى استمتاع ، ويسعل كل حين وآخــر ، مفسدًا سكون وهدوء المنطقة ، التى

خلت تمامًا من الناس ، مع اقتراب عقارب الساعة من منتصف الليل ، فنهض يلملم أدواته ، استعدادًا للنوم ، و ...

وفجأة ، تناهت تلك الأصوات إلى مسامعه ...

أصوات واضحة ، لطفلين يمرحان وسط المقابر ، وضحكاتهما البريئة تتردد فى المكان ، على نحو كان يمكن أن يرقص له قلبه طربًا ، لو أنه سمعه فى مكان آخر ، أو وقت آخر ...

وبكل دهشته ، سار (برعى) بين المقابر ، متتبعًا أصوات الطفلين وضحكاتهما ، حتى لاحا له أخيرًا ، وهما يعدوان فى مرح ، حول قبر حديث نسبيًا ، لزوجة شابة ، لقيت مصرعها فى سن مبكرة ، بعد صراع مع مرض عضال ...

كانا يطلقان ضحكاتهما المرحة ، وهما يتسابقان فى سعادة ، فى هذا الوقت المتأخر ، فهتف بهما ، وقد حول توتره إلى عصبية مفتعلة :

ــ ماذا تفعلان هنا ؟!

للوهلة الأولى ، خيل إليه أنهما لم يسمعا نداءه ، إلا أنهما سرعان ما التفتا إليه ، وتطلعا نحوه فى خوف ، جعلهما يقتربان من بعضهما البعض ، ويتلاصقان فى خوف ...

Looloo
www.dvd4arab.com

كانا طفلاً وطفلة ، لا يتعــدى عمرهما الخامسة ، ويتشابهان إلى حد كبير ، بملامحهما الجميلة البريئة ، التى جعلتهما يبدوان كزهرتين يانعتين من زهور الربيع ، نبتتا وسط الموت ، حتى إنه شعر بالعطف والشفقة نحوهما ، فاقترب منهما ، وهو يقول فى حنان ، محاولاً تهدئتهما :

ــ من أنتما ؟!... من أين جئتما ، وماذا تفعلان هنا ؟!

تراجع الطفلان فى خوف ، وقد التصقتا ببعضهما أكثر ، فواصل اقترابه فى حذر ، وهو يقول فى حنان أكثر :

ــ لا تخافا منى ... اقتربا ... عندى لكما بعض الحلوى .

تراجع الطفلان فى خوف أكبر ، ثم افترقا فجأة ، ودار كل منهما فى اتجاه مخالف للآخر ، حول ذلك القبر الحديث نسبيًا ، فأسرع (برعى) نحوهما ، هاتفًا :

ــ لا تخافا .

دار حول القبر بدوره ، قبل أن يتوقف ذاهلاً ...

فعلى الرغم من أنه قد رآهما بعينيه ، وهما يدوران حول ذلك القبر ، إلا أن الساحة الصغيرة خلفه كانت خالية تمامًا ...

لم يكن بها أثر للصغيرين ...

أو لأى شخص آخر ...

ولثوان ، جمد (برعى) فى مكانه ، وشعر بأوصاله ترتجف ، فبسمل وحوقل ، وتلفت حوله أكثر من مرة ، قبل أن يغمغم مضطربًا :

ــ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ... أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ..

دار حول القبر مرتين ، فلم يجد أدنى أثر للطفلين ، فبسمل وحوقل مرة أخرى ، ثم ابتعد فى خطوات سريعة ، عائدًا إلى منزله ...

ولكن فجأة ، سمع ضحكات الطفلين مرة أخرى ...

وفى رعــب ، لم يشــعر بمثله فى حياته قط ، التفت يحدق فيهما ...

كانا قــد عاودا لعبهما ، على النحــو نفسه ، وكأنهما يعيدان المشهد من بدايته ، وضحكاتهما تتصاعد فى مرح وسعادة ...

وفى هذه المرة ، وقف يحدق فيهما فى صمت ...

Looloo
www.dvd4arab.com

لقد مضى أكثر من عام ، منذ أودع طفلاً أحد هذه المقابر ، ولقد كان طفلاً واحدًا ، وليس طفلين ...

ثم إنه لم يؤمن يومًا بالأشباح والعفاريت ...

دار صراع عجيب فى داخله ، وهو يراقب الطفلين يمرحان ويلعبان ، ثم استجمع شجاعته ، ليقول فى صوت مرتجف :

ــ ماذا تريدان ؟!

لم يكن يأمل شيئًا من سؤاله ، إلا أنه فوجئ بهما يتوقفان فجأة ، فور أن نطق به ، ويلتفتان إليه فى صمت ، وعيونهما تحمل حزنًا شديدًا ، حار فى تفسيره ، فكرر عليهم سؤاله ، وقد بدأ يتماسك نسبيًا ...

ودون أن ينطق أحدهما بكلمة ، أشارا معًا إلى ذلك القبر الحديث ، ثم امتلأت عيونهما بالدموع ، على نحو جعله يتساءل فى حذر :

ــ أهى أمكما ؟!

علا نحيبهما فجأة ، وهما يتشبثان بالقبر ، ويبكيان فى حرارة ، أدمت قلبه ، فاتجه نحوهما ، قائلاً فى حنان مشفق :

ــ لا تبكيا .

مع اقترابه ، التفتا إليه بنفس الخوف السابق ، إلا أنهما لم يدورا حول القبر هذه المرة ، وإنما وثبا نحوه ، وجعلا جسد (برعى) يرتجف ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، عندما اختفيا فى شاهده فجأة ...

ولقد ظل جسد (برعى) يرتجف ، لخمس دقائق كاملة ، بعد اختفائهما ، وعيناه المتسعتان تحدقان فى قبر المرأة ، قبل أن تنجح قدماه فى أن تتحركا نحو القبر ؛ ليفحصه فى خوف ، امتزج بحسه المهنى ...

ومع الوهلة الأولى ، أدرك أن يدًا قــد عبثت بهذا القبر ، منذ فترة قريبة ...

وهى يد غير محترفة حتمًا ...

لقد حفرت وأزاحت بلاطة القبر فى عجالة ، ثم أعادت وضعها ، وأهالت عليها التراب ، دون أن تسقى الأرض بالماء كالمعتاد ...

كل هذا أدركه من النظرة الأولى ...

وكل هذا رواه لضابط نقطة الشرطة ، فجر اليوم التالى ...

www.dvd4arab.com

وفى حضور رجال الشرطة ، تم فتح قبر المرأة ...

وكانت الصدمة ...

جثة المـــرأة ترقد ســـاكنة هادئة ، وإلى جوارها جثتان ، لطفل وطفلة ، فى عمر الزهور ، يرتديان الثياب نفسها ، التى رآهما (برعى) يرتديانها ، وهما يلعبان حول القبر ، فى الليلة السابقة ...

وعندما فحص الطبيب الشرعى المرافق الجثتين ، أشار إلى أن الطفلين قد لقيا مصرعهما قتلاً بالسم ، منذ ثلاثة أيام ...

وضرب برعى كفًا بكف ، وهو يستعيد ذكرى الليلة الماضية ، فى حين بدأت التحقيقات حول واقعة القتل ...

وبسرعة راحت الحقائق تتكشف ...

فالمرأة هى أم الطفلين ، وقد تم قتلها بالسم أيضًا ، ليصبح بعدها زوجها الحالى وصيًا على ولديها من زوج سابق ، لقى ربه بعد ولادتهما بقليل ، وترك لها ولهما ثروة معقولة ...

وكان من الطبيعى أن يكون زوج الأم هو المشتبه فيه رقم واحد ، ولكن التحقيقات أثبتت أنه كان يعالج فى مستشفى بمدينة

(الإسكندرية) ، خلال الأسبوع الـــذى تمت فيه جريمة قتل زهرتى الربيع ...

وعلى الرغم من ثقة الجميع بأنه مدبر الحادث ، إلا أن أحدًا لم يستطع إثبات هذا ، وخاصة مع عدم العثور على الفاعل الأصلى ، فلم يكن هناك بد من إطلاق سراح زوج الأم ؛ لعدم كفاية الأدلة ...

وفى جلسته الليلية المعتادة ، بدأ (برعى) يجمع ساكنى المقابر من الأحياء حوله ، ويروى لهم قصته ، وكل منهم يضرب كفًا بكف ، حتى كانت تلك الليلة ...

كان القمر بدرًا ، والناس سئمت سماع قصته ، فانفضوا من حوله ، وجلس هو يدخن شيشته كالمعتاد ...

ثم لمح ذلك الرجل ...

رجل نحيل ، متوسط الطول ، يسير بخطوات مضطربة ، وسط المقابر ، وهو يهمهم بكلمات غير مفهومة ...

وعندما مر أمامه ، تعرفه (برعى) على الفور ...

كان زوج الأم ، بشحمه ولحمه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكنه كان يختلف تمامًا ، عـن آخـر مـرة رآه فيها ، قبيل الإفراج عنه مباشرة ...

أيامها كان واثقًا ، متغطرسًا ، يتحدث بنعرة عجيبة ، ويتحدى أن يثبت أى مخلوق تورطه فى جرائم القتل ...

أما هذه المرة ، فقد بدا ذاهلاً ، رث الثياب ، يسير كما لو أنه قد فقد كل شىء فى الدنيا ...

وفى فضول حذر ، تبعه (برعى) ...

كان يسير مباشرة نحو قبر زوجته ، الذى أعيد إغلاقه فى إحكام ...

ولم يفهم (برعى) ما يحدث ، فتقدم أكثر فى حذر ، ورأى الرجل يسقط على ركبتيه أمام القبر ، وهو يقول فى ضراعة بائسة :

ـ اجعليهما ينصرفان ... إنهما يزورانني كل ليلة ، وأراهما يلعبان ويلهوان ، فى أماكنهما المعتادة .

سرت قشعريرة فى جسد (برعى) ، فأرهف سمعه أكثر ، والرجل يبكى فى انهيار ، ويلمس شاهد القبر ، مواصلاً :

ـ رجوتهما أن يرحمانى ، واعتذرت لهما عما فعلته ، فأشارا إلى صورتك ، وعلمت أنهما يطلبان منى القدوم إليك .

تحولت قشعريرة (برعى) إلى غضب ، جعله يرهف سمعه أكثر وأكثر ، والرجل يتابع ، فى انهيار تام :

ـ ولقد أتيت لأعترف أمامك ... لقد أستأجرت قاتلاً ، واخترعت موعد العلاج لتنفيذ جريمته ... أنا أعطيته السم ... نفس السم الذى قتلتك به ، عندما سافرت إلى (لبنان) ... أنا فعلتها ، أنا قتلتك وقتلتهما ... إننى أعترف ... ولكن ارحمينى ... اجعليهما يبتعدان عنى ...

شعر (برعى) بغضب شديد ، عندما سمع تلك العبارات الأخيرة ...

كان الرجل منهارًا بحق ، إلا أنه لم يشعر تجاهه بذرة من الشفقة ...

لقـد رأى أمامه وحشًا مفترسًا ، قتـل زوجتـه ، وزهرتين بريئتيـن ، دون ذرة مـن الرحمـة أو الشـفقة ، ببراءتهما وطهارتهما ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولقد كان يهم بالاتجاه نحـــوه ، ليعنفه فى شدة ، أو يلقى القبض عليه ، ويخبر الشرطة بما سمعه منه ، عندها لاحظ فجأة أمرًا عجيبًا ، جعل انتفاضة عنيفة تسرى فى جسده ...

لقد كانت بلاطة قبر المرأة ، التى أحكم إغلاقها بنفسه ، مرفوعة ...

وكان القبر مفتوحًا ...

وفى نفس اللحظة ، التى أدرك فيها هذا ، اتسعت عيناه عن آخرهما ، مع مرأى الطفلين ، وهما يظهران فجأة ، على جانبى الرجل ، الذى أصيب برعب شديد ، جعله يتراجع ، صارخًا :

ــ لا ... لا ... الرحمة .

كان الطفلان يتقدمان نحوه فى بطء ، جعله يهب واقفًا على قدميه ، وهو يتراجع نحو القبر المفتوح ، ملوحًا بذراعيه فى ارتياع ، هاتفًا :

ــ اتركانى ... لم أعد أحتمل ... لم أعد أحتمل ...

تعثرت قدمه فى بلاطة القبر مع تراجعه ، فاختل توازنه ، ورآه (برعى) يضرب بذراعيه فى الهواء ، بكل رعب الدنيا ،

محاولاً التشبث بشىء ما ، قبل أن يهوى جسده كله داخل القبر ، ويسمع (برعى) صوت ارتطامه بأرضيته ...

ومع تآوهات الرجل داخل القبر ، التفت الطفلان ينظران إلى (برعى) وعيونهما تحملان براءة الدنيا كلها ..

لم ينطق أحدهما كلمة واحدة ، ولكن رسالتهما وصلت إليه بوسيلة ما ...

وكما لو أنه مسير ، استدار (برعى) عائدًا لمنزله ، والتقط دلوًا من الماء ، وكيسًا من الأسمنت ، وعـــاد بحمله إلى قبر المرأة ...

وعلى الرغم من أن الطفلين لم يغادرا مكانهما ، ولم يرفعا عيونهما عنه ، وقف بينهما يلقى نظرة على الرجل ، الذى حاول الخروج من القبر ، وهو ينظر إلى جثة المرأة فى رعب ، مرددًا فى انهيار :

ــ ارحمينى ... ارحمينى .

وبلا أية مشاعر تقريبًا ، وكأنما تضغط عليه قوة تفوق إرادته ، تجاهل (برعى) تأوهات الرجل ، ودفع بلاطة القبر ؛ ليعيدها إلى موضعها ، والرجل يصرخ فيه ، فى رعب لا مثيل له :

www.dvd4arab.com

ــ ماذا تفعل ؟!... ماذا تفعل ؟! ..

ومتجاهلاً صرخاته تمامًا ، أغلق (برعى) القبر ، وراح يدعم بلاطته بخليط سميك من الأسمنت والماء ؛ ليحكم إغلاقه تمامًا ، وصوت الرجل يتناهى إلى مسامعه ضعيفاً ، وهو يصرخ متوسلاً :

ــ أخرجنى من هنا ... لا تتركنى معهم ... أرجوك ...

وفى هدوء عجيب ، زاد (برعى) من كمية الأسمنت والرمال ، حتى حجب صوت الرجل تمامًا ، ثم تراجع فى بطء ، وجلس على شاهد قبر آخر ، يراقب قبر المرأة فى بلادة عجيبة ، فى حين رفع الطفلان عيونهما إليه ، فى نظرة امتنان عجيبة ، سرت لها قشعريرة باردة أخرى فى جسده ...

ثم فجأة ، حدث ما جعل قلبه يتوقف لحظة عن النبض ...

لقد شاهد تلك المرأة ...

شاهدها تقف على بلاطة قبرها هادئة ساكنة ، تنظر إليه بنفس نظرة الامتنان ، وهى تفتح ذراعيها ...

وفى سعادة ، اندفع الطفلان نحوها ، فاحتضنتهما فى حنان عجيب ، قبل أن تمنحه نظرة امتنان أخرى ، ثم تغوص مع ولديها ، عائدة إلى قبرها ...

ولساعة كاملة ، ظل (برعى) جالسًا على شاهد القبر الآخر ، يحدق فى قبر المرأة ، دون أن ينبس ببنت شفة ...

منذ تلك الليلة ، واصل (برعى) جلسته المعتادة ، أمام منزله ، وسط المقابر ، يدخن شيشته فىَ هدوء وصمت ، محاولاً إقناع عقله بنسيان ما حدث ...

الشىء الوحيد الذى تغير ، هو أنه لم يعد يروى شيئًا لأى مخلوق ...

فقط أصبح أكثر اهتمامًا بنسمات الربيع ...

وزهور الربيع .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

3 ـ شـــات ...

« العشاء يا (عبير) ... »

بلغ النداء مسامع (عبيرِ) ، وهى تجلس أمام شاشة الكمبيوتر ، فانعقد حاجباها فى ضيق ، ومطت شفتيها فى امتعاض ، وهى تواصل الكتابة على لوحة الأزرار ؛ لتحكى لإحدى صديقات (الشات) ما حدث معها ، خلال رحلة الصيف فى الساحل الشمالى ...

وتكرر نداء الأم مرتين ، دون أن تجيب (عبير) ، فطرقت الأم باب حجرتها ، وهى تقول فى يأس ، يبدو أنها قد اعتادته :

ـ ألن تتناولى العشاء معنا ؟!

هتفت (عبير) ، دون أن تتوقف عن مواصلة (الشات) :

ـ كلا ... لقد تناولت شطيرة منذ قليل .

زفرت أمها ، مغمغمة :

ـ أنت وشأنك .

لم تبال (عبير) كثيرًا بضيق أمها ، التى يئست من محاولات انتزاعها من أمام الكمبيوتر ، الذى أدمنت الجلوس أمامه ، منذ تخرجت من كليتها ، منذ أكثر من عام ، لم تحاول خلاله البحث عن عمل ، ولا مرة واحدة ، وكأنها قد وهبت حياتها للكمبيوتر ، ولذلك (الشات) ، الذى صنعت منه حياتها الاجتماعية كلها ...

أما (عبير) فقد انتهت من (الشات) مع زميلتها ، ثم انتقلت إلى زميلة أخرى ، فى شغف غير طبيعى ، جعل الساعات تمضى ، وأسرتها تنام ، وهى مستمرة أمام الكمبيوتر ...

وعندما قررت أخيرًا ، مع اقتراب الفجـــر ، أن تأوى إلى فراشها ، ظهر ذلك الزائر فجأة ، على صفحة (الشات) الخاصة بها ...

(ع . ج) ... هكذا عرف نفسه ، قبل أن يتحدث معها عن رحلتها الصيفية ...

واتسعت عيناها فى دهشة بالغة مستنكرة ...

إنها لم تعرف (ع . ج) هذا من قبل ، ولم تجر أى (شات) معه مسبقًا ، وعلى الرغم من هذا ، فهو يذكر لها أمورًا ، لم تخبرها حتى لأعز صديقات (الشات)

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى غضب ، سألته (عبير) عمن يكون ...

وفى بســاطة ، أخبرها أنه شخص شديد الإعجــاب بها ، ويرغب فى صداقتها ...

وعلى الرغم من دهشتها واستنكارها ، دفع الفضول (عبير) إلى أن تسأله : كيف عرف كل هذه الأمور عنها ...

وفى سرعة مدهشة ، تفوق قدرة أى إنسان على الكتابة ، ظهر الجواب على الشاشة ...

« أنا أعرف عنك أكثر مما يمكنك تصوره ... »

لم يرق لها الجواب ، وفكرت لحظة فى إغلاق الكمبيوتر ، ولكن الفضول دفعها إلى أن تسأل ...

« مثل ماذا ؟!... »

وبنفس السرعة المدهشة ، ظهر الجواب ...

« أعرف أنك كنت تفكرين الآن فى (أشرف) ، ذلك الشاب الوسيم ، الذى التقيت به فى الساحل الشمالى ، والذى يمتلك سيارة سوداء ، من طراز (بى . إم . دابليو) ... »

خفق قلبها فى عنف ، وبدا لها الجواب مستفزًا ، فهى بالفعل كانت تفكر فى (أشرف) هذا ، ولا أحد سواها يعلم ، أو يمكن أن يعلم بهذا !!...

ولكن هناك من يمكن أن يستنتجه ...

إنه (أشرف) نفسه ...

ربما هو يمازحها ، واثقًا من أنها تفكر فيه طوال الوقت ، بعد أن بهرها بوسامته وشدة ثرائه ، منذ أقل من شهر ...

نعم ... هو (أشرف) حتمًا ؛ فهى لم تخبر أحدًا عنه ، حتى هذه اللحظة ...

إنه هو دون سواه ...

وبسرعة ، كتبت على الشاشة ...

« أنت (أشرف) ... أليس كذلك ؟!... »

وما إن رفعت سبابتها عن آخر حروف لوحة الأزرار ، حتى ظهر الجواب على الشاشة ...

« (أشرف) شاب تافه ، لا يستحق ... »

Looloo
www.dvd4arab.com

أدهشتها سرعة ظهور الأجوبة ، فتراجعت لحظة فى مقعدها ، تحاول فهم ما يحدث ...

مستحيل أن يكون هذا شخص آخر ...

لا أحد يعلم بأمر (أشرف) سواها !!...

ولكن من يمكن أن يكون هذا ؟!...

وكيف يضع إجابات أسئلتها بهذه السرعة ؟!...

انعقد حاجباها فى شدة ، وهى تحاول البحث عن الجواب ...

ربما هو (أشرف) ، ولكنه يختبر مشاعرها نحوه ...

ربما ...

وربما أعد الإجابات كلها مسبقًا ، مستنتجًا حيرتها ، إزاء هذه المعلومات والأسئلة ...

من المستحيل أن يكون قد روى الأمر لأحد أصدقائه ، وتركه يعبث بها ...

مستحيل تمامًا ...

صحيح أنها لم تتعرفه جيدًا ، ولكنه لم يبد لها من تلك النوعية أبدًا ...

وفجأة ، وبينما عقلها منشغل بالبحث عن إجابات تساؤلاتها ، ظهرت عبارة على الشاشة ...

« لا تشغلى عقلك بالتفكير ، فأنا لست صديقًا لذلك التافه (أشرف) ، الذى ينافسنى الإعجاب بك ... »

وانتفض جسدها فى دهشة وانفعال ...

كيف عرف ما تفكر فيه ؟!..

كيف ؟!...

كيف ؟!...

وبسرعة ، نقلت سؤالها إلى الشاشة ...

« هل تقرأ أفكارى؟!... »

وفى نفس اللحظة ، أتاها الجواب ...

« بالتأكيد ... أقرأ كل ما تفكرين فيه ... »

انعقد حاجباها فى شدة ، وفكرت فى أنه شاب عابث حتمًا ، يعلم أمر علاقتها بـ (أشرف) ، بوسيلة ما ، ويستغل هذا لإخافتها والعبث بها ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى ذهنهـــا ، قررت أن تفـــكر فى أمها ، وتسأله أن يقرأ أفكارها ...

وقبل أن تمد أصابعها ، لكتابة العبارة ، فوجئت بكلمة واحدة تظهر على الشاشة ...

« فى أمك ... »

لم تكن قد كتبت العبارة بعد ، لذا فقد جعلها الجواب تثب من مقعدها ، وتتلفَّت حولها فى خوف ، قبل أن تكتب ...

« من أنت بالضبط ؟!... أرجوك ... »

مضت لحظات من السكون ، وهى تنتظر الجواب فى لهفة ، ولكنها لم تحصل عليه ، طوال الدقائق الخمسة التالية ، فكتبت فى سرعة .....

« أين ذهبت ؟!... »

أتاها الجواب على الشاشة ، بأسرع مما تتوقع ...

« لماذا ؟!... هل افتقدتنى ؟!... »

انتفض جسدها مرة أخرى ، وترددت لحظة ، قبل أن تكتب فى حزم ...

« سأغلق الكمبيوتر الآن ... »

أتاها الجواب ، قبل أن تتم العبارة ....

« لن يمكنك هذا ... »

شعرت بعصبية شديدة ، وهى تقول لنفسها :

ــ من يظن نفسه ؟!... هل تصـــور أننى لا أستطيع إغلاق الكمبيوتر ؟!... واهم هو ، لو تصور هذا .

وبكل العناد ، دفعت سبابتها ، وضغطت زر إغلاق الكمبيوتر ، و ...

ولم يستجب الجهاز ...

تراجعت فى دهشة ، وحدقت فى شاشة الكمبيوتر فى ذهول ، مع العبارة التى ارتسمت عليها ...

« ألم أخبرك ؟!... »

انتابها خوف شديد ، وهى تضغط زر إغلاق الكمبيوتر مرة ...

وثانية ...

وثالثة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ورابعة ...

وخامسة ...

ولم يستجب الكمبيوتر لأية محاولة ...

لقد ظلت شاشته مضاءة ، وحملت عبارة صارمة ...

« لن يمكنك إغلاق هذا الكمبيوتر ، وقطع (الشات) بيننا ، إلا بإرادتى أنا ... »

انتفض جسدها ، وهى تتساءل فى رعب ...

أهذا فيروس جديد ، من فيروسات الكمبيوتر؟!...

هل دس (ع . ج) هذا فى جهازها فيروسًا جديدًا ، يمنع إغلاق الكمبيوتر ؟!... ولكن كيف فعلها؟!... كيف ؟!...

حاولت أن تغلق صفحة (الشات) ؛ لتعيد فحص جهاز الكمبيوتر ، عبر برنامج مضاد للفيروسات ، إلا أن الصفحة أيضًا لم تستجب ، فى حين حملت الشاشة عبارة جديدة ...

« دعينى ألتقى بك أولاً ، وبعدها سيستجيب لك الكمبيوتر ... »

لم تحاول الرد على عبارته هذه المرة ، وجسدها ينتفض فى قوة ، وإنما تراجعت بمقعدها ، وراحت تحدق فى العبارة فى ذهول ، قبل أن تندفع فجأة ، وتنتزع قابس الكهرباء ، المتصل بالكمبيوتر ...

ووفقًا لأى مقياس فيزيائى فى الوجود ، كان المفترض أن يغلق هذا الكمبيوتر على الفور ، إلا أن هذا ــ وللعجب ــ لم يحدث !!...

مع غياب التيـــار الكهربى ، ظلت شاشة الكمبيوتر مضاءة ، وتراصت عليها عبارة جديدة ...

« دعينى ألتقى بك أولاً ... »

كان جسدها كله ينتفض رعبًا ، وغمغمت بصوت مرتجف :

ــ ولكن هذا مستحيل !...

لم يكن جهازها مزودًا بميكروفون لنقل الصوت ، وعلى الرغم من هذا ، فقد جاءت العبارة التالية لتثير كل فزعها ...

« مع مثلى ، لا يوجد مستحيل !... »

راح جسدها ينتفض فى قوة ، وعجزت ساقاها عن حملها خارج مقعدها ، وعجز حتى حلقها عن الصراخ ، او الاستنجاد بأحد ...

وعلى الشاشة ، ظهرت العبارة نفسها تتكرر ...

Loolge
www.dvd4arab.com

« فقط دعينى ألتقى بك .... »

وبكل صعوبة ، غمغمت :

كيف ؟!...

أتاها الجواب على الشاشة ، وكأن (ع . ج) هذا يسمعها ...

« اطلبى منى أن ألتقى بك .... »

غمغمت فى رعب :

ــ متى ؟!

ومرة أخرى أتاها الجواب فى سرعة ...

« الآن .... اطلبى منى الآن .... »

كان الرعب يملأ كيانها كله ، والدموع تنهمر من عينيها ، من شدة رعبها ، وعلى الرغم من هذا فقد غمغمت :

ــ فليكن ... لو أن هذا ينهى ما أنا فيه .

حملت الشاشة كلمة واحدة بحروف كبيرة ...

« اطلبيها ... »

هتفت بصوت مختنق :

ــ التق بى ... الآن ..

لم تكد تنطقها ، حتى انطفأت الشاشة فجأة ، ودوت فرقعة مكتومة فى الحجرة ، وهوى قلب (عبير) بين قدميها ، عندما ظهر شخص إلى جوارها بغتة ، وهو يقول :

ــ لم يكن من الممكن أن ألتقى بك ، دون أن تطلبيها صراحة .

واتسعت عينا (عبير) عن آخرهما ، فى رعب ما بعده رعب ، مع ذلك الوجه شديد الحمرة ، وعينيه المشقوقتين طوليًا كعيون الثعابين ، وتراجعت بمقعدها فى عنف ، فتهاوى بها ، وارتطم رأسها بطرف فراشها ، فسقطت فى عنف ...

واستيقظت ...

وفى رعب ، حدقت فى شاشة الكمبيوتر المضاءة أمامها ، والتى تحمل صفحة الشات الخاصة بها ، والتى ليس عليها أثر لمحادثاتها مع (ع . ج) هذا ...

وفى ذعر، تلفتت حولها ، قبل أن تطلق زفرة عصبية ، وتغمغم :

ــ يا إلهى !.... لقد كان كابوسًا رهيبًا ... لا ريب فى أن النوم قد غلبنى ، أمام شاشة الكمبيوتر ، فكان هذا الكابوس ..

ضغطت زر إغــلاق الكمبيوتر ، فاســتجاب لهــا فى يسر ، ونهضت إلى فراشها ، مع نسمات الصباح الأولى ، وهى تتمتم :

ـ لابد أن أقلل من ساعات جلوسى أمام (الشات) ... أمى كانت على حق ... هذا يصيب العقل بإجهاد شديد .

رقدت فى فراشها ، وهى تستعيد ذكرى ذلك الكابوس الرهيب ، وحاولت أن تبتسم ، وهى تغلق عينيها ، مغمغمة :

ـ ولكن لماذا (ع . ج) .... أى شىء يمكن أن يعنيه هذا .

« يعنى عفريت من الجن ... »

العبارة جعلتها تقفز من فراشها بكل رعب الدنيا ، ووجدته يقف أمامها ، وذيله يتلاعب خلفه ، وهو يبتسم بأنيابه الحادة ، قائلاً :

ـ هكذا يطلقون علينا ...

وصرخت (عبير) ...

وصرخت ...

وصرخت ...

ولم يسمعها أحد ...

على الإطلاق .

* * *

4 ـ الخـــوف ...

المكان كله لا يوحى بالارتياح على الإطلاق ...

الضوء شديد الخفوت ...

الجدران شبه المتهالكة ...

رائحة الرطوبة التى تزكم الأنوف ...

أصوات الحشرات ، التى دفعها الربيع للتغازل ، فى موسمها السنوى ...

وهو لم يشعر بالراحة ، منذ جاء إلى المكان ...

ولكن الجميع قالوا : إنه سيجد علاجه هنا ...

وعليه أن ينتظر ...

ويحتمل ...

حاول أن يسترخى ، على ذلك (الشيزلزنج) القديم ، الذى اهترأت أطرافه ، ولكنه لم ينجح فى هذا أبدًا ...

ترى لماذا يثق الكل فى ذلك المعالج ؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

أية إنجازات يحملها تاريخه ، فى هذا المجال ؟!...

ولماذا هذا المكان ؟!..

لماذا ؟!...

شعر قلبه بذلك الخوف العجيب ، عندما تناهت إلى مسامعه أصوات المارة فى الخارج ، فانكمش فى مكانه ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، ثم حاول أن يغلقهما ؛ ليقنع نفسه بأنه فى مكان آخر ...

ولكن أصوات المارة تزايدت ...

وشعور الخوف داخله تصاعد ...

وتصاعد ...

وتصاعد ...

وعلى الرغم منه ، وعلى الرغم من أن هذا غير معتاد ، وجد جسده يرتجف ، على الرغم من محاولاته التماسك ...

ثم شعر بوصول المعالج ...

وفى سرعة فتح عينيه ، يحدق فيه بشدة ...

كان شديد النحول ، غائر العينين ، شاحب الوجه ، أشعث الشعر ، يرتدى معطفًا كان يتمتع باللون الأبيض ، منذ عشر سنوات على الأقل ، وأسفله يبدو سروالاً من الجينز ، ضاع لونه من فرط القذارة ...

وبلا مبالاة ، جلس المعالج على مسافة نصف متر منه ، وأمسك ملفه ، وراح يقرأ أوراقه فى سرعة ، قبل أن يهز رأسه قائلاً :

ــ لم أر حالة كهذه من قبل أبدًا !!..

غمغم هو فى أسى ، يمتزج بلمحة خجل :

ــ أعلم هذا .

هز المعالج رأسه مرة أخرى ، ومال نحوه يسأله :

ــ لماذا تخاف منهم ؟!

أجابه فى أسى :

ــ لست أدرى ...

سأله :

ــ هل تتصور أنهم سيحاولون إيذاءك ؟!..

تساءل ، وهو يزداد انكماشًا :

ــ ولِمَ لا ؟!...

هز المعالج كتفيه هذه المرة ، وهو يقول :

ــ لأنه ما من سبب لهذا .

غمغم :

ــ لديهم سبب بالتأكيد .

قال فى هدوء :

ــ ليس إن لم تمنحهم أنت إياه ...

تنهد فى توتر ، وبدا له ذلك (الشيزلونج) القديم ، وكأنه تحول إلى سرير من المسامير الحادة ، يؤلم ظهره ، وهو يقول :

ــ الخوف جزء من طبيعتهم أيضًا .

هز المعالج كتفيه ، وقال :

ــ الخوف هو المحرك الرئيسى ، لكل كائن فى الوجود ... يخاف البرد والرياح ، فيسعى للحصول على مسكن يؤويه ... يخاف الجوع ، فيبحث عن طعام يأكله ... يخاف المرض ،

فيسعى لملبس يقيه ... حتى عندما يحصل على كل هذا ، يخاف أن يخسره ، فيواصل عمله للحفاظ عليه .

غمغم فى توتر :

ــ لست أقصد هذا النوع من الخوف .

قال المعالج فى هدوء :

ــ لعلك تقصد ذلك الخوف السلبى ، الذى يعجز معه المرء عن العمل والكفاح ، فيخسر كل شىء ..

هز رأسه فى قوة ، قائلاً :

ــ ولا هذا أيضًا .

تراجع المعالج فى مقعده فى ضجر ، وهو يسأله :

ــ أى خوف تقصد إذن ؟!

صمت لحظات ، عاد خلالها ينظر إلى الجدران المتشققة ، والسقف الذى يكاد يسقط على رأسه ، والباب المتماسك بالكاد ، قبل أن يقول فى خفوت :

ــ الخوف من المجهول .

مط المعالج شفتيه ، وهز رأسه ، قائلاً :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ هذا نوع من الخوف الطبيعى .

غمغم هو فى دهشة :

ــ حقًا ؟!... أيوجد خوف طبيعى ؟!

أجابه فى سرعة :

ــ بالتأكيد .

ثم اعتدل فى مقعده ، مضيفًا :

ــ كل مخلوق لديه مخاوف طبيعية ، هى التى تحدد مساره فى الحياة ، وقدرته على تجاوز ما يواجهه من عقبات ... والخوف من المجهول هو أكبر هذه المخاوف ؛ لأنك تخشى ما لا تدركه ، بأكثر مما تخشى ما تدركه ، والوسيلة الوحيدة ؛ لكسر الخوف من المجهول ، هى ألا يصبح مجهولاً .

سأله فى لهفة متوترة :

ــ وكيف ؟!

مال المعالج نحوه ، مجيبًا فى حزم :

ــ بأن نواجهه .

امتقع وجهه ، وتراجع يرقد مرة أخرى ، على ذلك (الشيزلونج) القديم ، وهو يغمغم فى خوف :

ــ نواجهه ؟!

أومأ المعالج برأسه إيجابًا مرتين ، ثم اعتدل ، قائلاً :

ــ هذا أشبه بحجرة مغلقة ، فى منزل كبير ... حجرة لم يفتحها أحد من قبل ... والكل يخشى المبادرة بمحاولة فتحها ، فتظل دومًا مغلقة ، لا يقترب منها أحد ، حتى يجرؤ شخص على فتحها يومًا ، فيجد أنها حجرة خالية ، لا خوف منها ... بل قد تكون الحجرة الوحيدة ، التى تدخل منها الشمس ..

امتقع وجهه ، وراحت أطرافه ترتجف ، وهو يقول :

ــ هل تعنى أنه من الضرورى أن أواجههم ؟!

عاد يومئ برأسه ، قائلاً :

ــ هذا هو الحل الوحيد .

اتسعت عيناه ، وهو يزداد انكماشًا على ذلك (الشيزلونج) القديم ، فاكتسب صوت المعالج صرامة ، وهو يقول :

ــ اخرج الآن وواجههم ... أثبت لنفسك أنك لا تخاف منهم ، وربما خافوا هم منك .

حاول أن يتخيل الفكرة ، ولكن الخوف فى أعماقه تصاعد ؛ لمجرد تصورها ...

Looloo
www.dvd4arab.com

تصاعد ...

وتصاعد ...

وتصاعد ...

على الرغم من كل محاولاته لمقاومته ، لم يستطع منع تصاعده ، فدفن وجهه بين كفيه ، وهو يهتف :

ـ لا ... لن يمكننى هذا .

رمقه المعالج بنظره ، تجمع ما بين الدهشة والشفقة والازدراء ، قبل أن يقول :

ـ لا يوجد سبيل سوى هذا .

قالها فى صرامة شديدة ، فأبعد هو كفيه عن وجهه ، وحدق فيه ، متسائلاً فى صوت مرتجف :

ـ وماذا عن العواقب ؟!...

هز المعالج رأسه فى قوة ، وهو يقول بنفس الصرامة :

ـ لا توجد أية عواقب .

تساءل بصوت أكثر ارتجافًا :

ـ وماذا لو فشلت ؟!

أجابه المعالج ، وهو يلملم أوراق التقرير ، وكأنه قرر إنهاء جلسة العلاج :

ـ الخوف من الفشل دافع لتقدم أى كائن ، ولو أنك خشيت الفشل ، فستبذل جهدك لتفاديه ، ولتحقيق النجاح .

ثم بدا كأنه قد فقد أعصابه فجأة ، وهو يضيف :

ـ ثم إنه لا خيار لديك ... لابد أن تحاول .

كان قد لملم أوراق الملف ، ونهض وهو يحمله ، فحاول هو النهوض بدوره ، من ذلك (الشيزلونج) ، وهو يغمغم :

ـ مازلت خائفًا منهم .

كان المعالج يهم بالانصراف ، عندما سمع هذه العبارة ، فالتفت إليه ، يسأله فى صرامة :

ـ لماذا ؟!... ما الذى يمكن أن يفعلوه ؟!

تردد ، وهو يجيب :

ـ ربما طاردونى .

أجابه المعالج ، بكل ضجره :

ـ لن يفعلوا بالتاكيد .

Looloo
www.dvd4arab.com

قال فى توتر :

ــ وماذا لو حاولوا قتلى ؟!

هتف المعالج :

ــ ألم أقل لك : إننى لم أر حالة كهذه أبدًا !!!

ثم مال نحوه ، مضيفًا :

ــ لن يقتلوك حتمًا .

وانعقد حاجباه بشدة ، وهو يضيف :

ــ لأنك بالفعــل ميت ... أنت شبح ... ألم تستوعب هذه الحقيقــة بعد ؟! لا تخاف الأحيــاء .. هم مــن ينبغى أن يخافوا منك ... حاول أن تستوعب ... أنت شبح ... شبح ...

كان قد استوعب هذه الحقيقة بالفعل ، ولكنه مازال يحتفظ فى أعماقه بتلك اللمحة الباقية من الحياة ...

بالخوف .

* * *

5 ـ أنت عمرى ...

تلفت الدكتور (وجدى) حوله فى حذر ؛ ليطمئن إلى خلو قسم الحالات الحرجة ، فى المستشفى الخاص ، الذى يعمل فيه ، من أى شخص ، يمكن أن ينتبه إليه ، فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ، وربت على جيب معطفه الطبى ؛ ليتأكد من وجود اختراعه الصغير فيه ، قبل أن يدفع باب حجرة تلك المريضة ، الغارقة فى غيبوبة عميقة ، منذ أكثر من ستة أشهر ، ويدلف إلى المكان فى سرعة ، ثم يغلقه خلفه فى إحكام ، وهو يلقى نظرة متوترة على ساعة يده ، التى أشارت عقاربها إلى الثالثة والنصف صباحًا تقريبًا ...

كان يعلم جيدًا أن موعــد مرور طاقم التمريض ؛ لمتابعة المريضة ، سيأتى فى الخامسة صباحًا ، مما يعنى أنه أمامه ساعة ونصف الساعة ؛ ليثبت نجاح اختراعه ...

وفى توتر ، أخرج جهازه الصغير من جيب معطفه ، وحمله فى حرص ، كما لو أنه وليد غير مكتمل النمو ، ووضعه على المنضدة الصغيرة ، إلى جوار المريضة مباشرة ، ثم اعتدل يلهث ، كما لو أنه قد بذل جهدًا خرافيًّا ، وغمغم فى عصبية :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ حتى مساء اليوم كنت مريضتى ، أما الآن ، فأنت عمرى كله .

تطلع إلى مريضته بضع لحظات ، وهو يبذل كل جهده ؛ للسيطرة على انفعاله ، ثم التقط نفسًا عميقًا ، وقال وكأنه يتحدث إليها :

ــ الحادث الذى أصابك ، أسقطك فى واحدة من أنواع الغيبوبة ، غير ذات التفسير الواضح ؛ فكل أجهزتك تعمل على نحو طبيعى ، وعلى الرغم من هذا ، فأنت غارقة فى غيبوبتك .

كشف ذراع المريضة ، ودفع فى عروقها إبرة رفيعة ، تتصل عبر أنبوب طويل بذلك الجهاز الصغير ، وهو يواصل :

ــ ولقد بذلنا كل المحاولات الممكنة ، ليس لعلاجك ، ومحاولة إخراجك من غيبوبتك العميقة فحسب ، ولكن لفهم وتفسير سببها أيضًا .

كشف ذراعه ، ودفع فى أوردته إبرة مماثلة ، تتصل عبر أنبوب شبيه ، بذلك الجهاز الصغير ، متابعًا :

ــ وفى النهاية ، أقر الكل بعجزه ، وبأنه لا سبيل إلى تفسير حالتك ، أو علاجها فى الوقت الحالى ، وكل ما يمكننا هو الإبقاء عليك آمنة ، وفى حالة طبية ممتازة ، حتى نتوصل إلى التفسير أو العلاج .

نقل بصره بينها ، وبين جهازه الصغير ، الذى يحوى مفتاحًا واحدًا ، مع مصباحين صغيرين على جانبيه ، أحدهما له لون أحمر ، والثانى أخضر اللون ، مع مؤشر رقمى مستطيل أعلاهما ...

كان يشعر بتوتر شديد ، قبل أن يختبر جهازه للمرة الأولى ، فقال ، وكأنه يفرغ توتره ، فى حديثه مع امرأة لا تسمعه :

ــ نظريتى تقول : إن ما تعانين منه أشبه بجهاز حيوى ، نضبت بطاريته الأساسية ، فبدا من الخارج سليمًا كما كان ، ولكنه فى حاجة إلى الطاقة المحركة الرئيسية .

ومال نحوها ، مضيفًا فيما يشبه الهمس :

ــ الطاقة الحيوية .

قالها ، وتراجع فى توتر ، وعاد ينقل بصره بينها وبين جهازه الصغير ، والتقط نفسًا عميقًا آخر ، فى محاولة للسيطرة على أعصابه الثائرة ، قبل أن يتابع :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ولست أعنى بالطاقة الحيوية هنا ، تلك الطاقة الطبيعية للجسم البشرى ، والتى يمكن قياسها بشتى الوسائل الحديثة ، وإنما أعنى نوعًا آخر من الطاقة ... تلك الطاقة التى تكمن فى الدم ، وتنشأ عن سريانه فى العروق ... الطاقة التى تمنحنا الحياة ، والتى تصنع منا بشرًا ، يفكر ، ويشعر ، ويكره ويحب .

التقط نفسًا عميقًا آخر ، وتمتم :

ــ طاقة الدم الحيوية .

صمت لحظات ، وكأنه ينتظر منها تعليقًا ، ثم هز رأسه ، مغمغمًا :

ــ المسبار الذى غرسته فى عروقك وعروقى ، لا يشبه إبرة محقن عادى ، فهو ليس مجوفًا مثله ، بل هو مسبار خاص ؛ لقياس طاقة الدم الحيوية ، ونقل ذبذباتها المنمنمة ، إلى جهازى الصغير ، الذى يقوم بفحصها ، وتحليلها ، وقياس قوتها ، ثم يقارنها بذبذبات الطاقة الدموية الحيوية ، الصادرة من عروقى ، ويعمل على معادلة الطاقتين ...

هز رأسه ، وكأنما يقنع نفسه بالفكرة ، قبل أن يستطرد :

ــ هذا أشبه بمحاولة إيقاظ بطارية سيارة فارغة ... إننا نوصلها ببطارية سيارة أخرى ، فتدور ، وتعود السيارة ذات البطارية الفارغة للعمل .

ألقى نظرة على ساعة يده ، فوجد أن عقاربها تقترب من الرابعة صباحًا ، وأدهشه أن مر كل هذا الوقت ، دون أن ينتبه ، فغمغم فى توتر :

ــ أظن أنه من الأفضل أن نبدأ التجربة .

تأكد مرة أخرى من كل التوصيلات ، قبل أن تتجه سبابته فى تردد وتوتر ، إلى الزر الوحيد فى الجهاز الصغير ...

وبمنتهى العصبية ، ضغط الزر ...

فى البداية ، أضاء المصباح الأحمر ، وبدأ الجهاز عمله ...

ولكنه لم يشعر بشىء ...

أى شىء ...

لخمس دقائق كاملة ، بدت له أشبه بدهر كامل ، راح يحدق فى الجهاز ، وفى المصباح الأحمر ، والمؤشر الرقمى المستطيل ،

Looloo
www.dvd4arab.com

بالقرب من قمة الجهاز ، والذى ظل يشير إلى الصفر ، وكأنما لم يستقبل شيئًا ....

لا نبضات عادية ، أو فوق عادية ...

ولا ذبذبات ولا اى دليل على وجود تلك الطاقة الدموية الحيوية ...

وفى توتر شديد ، عقد الدكتور (وجدى) حاجبيه ، وهو يغمغم :

ــ مستحيل !... كل حساباتى تؤكد أن ...

وقبل أن يتم عبارته ، بدأ كل شىء فجأة ...

بلا مقدمات ، بدأت الأرقام تتحرك فى سرعة ، على تلك الشاشة المستطيلة ...

وشعر الدكتور (وجدى) بصدمة مباغتة ...

لم تكن صدمة نفسية أو عصبية ، وإنما صدمة حقيقية ...

صدمة ، شعر معها وكأن لكمة قوية قد أصابت رأسه ، دون سابق إنذار ...

وأمام عينيه ، اللتين اتسعتا عن آخرهما ، اختفت معالم الحجرة ، وظهرت بدلاً منها معالم منزل قديم ...

كان من الواضح أن ذكريات هذه المريضة ، الغارقة فى غيبوبة عميقة ، قد انتقلت إليه ، بوسيلة ما ...

كان المنزل قديمًا ، يشبه بيوت القرن التاسع عشر ، وهناك موقد كبير على الأرض ، يمتلئ بفحم مشتعل ، وتفوح منه رائحة بخور قوية ...

وكانت هناك أصوات عجيبة تتردد ...

أصوات بلغة ليست عربية حتمًا ...

ولا هى حتى واحدة من اللغات الخمس ، التى يجيدها ...

كانت لغة غريبة ...

عجيبة ...

ومخيفة ...

وكانت هناك يدان ، تتحركان حركات عجيبة ...

وبين الحين والآخر ، تلقيان بعض البخور فى الموقد ...

www.dvd4arab.com

وعلى الرغم من حالة الجمود ، التى أصابته عقب الصدمة ، استطاع أن يستوعب الأمر فى سرعة ...

إنه الآن داخل عقل المرأة ...

يشعر بما شعرت به ...

ويرى ما رأته ...

ذلك الصوت الذى يسمعه ، بتلك اللغة العجيبة ، هو صوتها ...

واليدان هما يديها ...

إنه ، وعبر وسيلة لم يقرأ حتى عنها من قبل ، يرى عبر عينيها ....

ويحيا ذاكرتها ...

كان يريد أن يقاوم هذا الشعور المخيف ، إلا أنه عجز عن هذا تمامًا ...

حاول حتى أن يمد يده ؛ ليطفئ جهازه الصغير ...

ولكن هيهات ...

لقد تجمد كل جسده ، وصار أشبه بمريض مصاب بشلل كامل ، فيما عدا عقله ، الذى ظل يعمل ...

ويرى ..

ويشعر ...

كانت نيران الموقد تتأجج أكثر وأكثر ، مع ترديد تلك الكلمات العجيبة ...

ثم فجأة ، راحت تلك الصورة تتكون داخلها ...

وعلى الرغم من حالة الجمود ، التى سقط جسده فيها ، شعر الدكتور (وجدى) برجفة عنيفة ، تسرى فى أوصاله ، وهو يرى ما رأته المرأة ، داخل النيران ...

كائن بشع رهيب ، تكون وسط النيران ، وبدا كجزء من الجحيم ، بقرنيه الصغيرين ، وملامحه السوداء البشعة ، وزوج الأعين ، اللتين غابت منهما القزحية تمامًا ، ويدين أشبه بقطعتين من الحجر الملتهب ...

وراح الصوت يعلو ، ويكتسب رنة رعب ، ثم بدأت الكلمات تعود إلى العربية ، مع صرخة المرأة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ انصرف ... انصرف ...

ولكن ذلك الكائن البشع واصل التكون ، حتى صار هو والنار كيانًا واحدًا ...

وفى مشهد رهيب ، خرج من موقد النيران ، واتجه نحوها ...

وصرخت المرأة ...

وصرخت ...

وصرخت ...

وصرخت ...

وسمع الدكتور (وجدى) صدى صراخها فى رأسه ...

وعبر ذاكرة عينيها ، رأى ذلك الكائن يملأ بصرها كله ...

وعبر أذنيها ، سمعه يقول :

ــ أنت أردت هذا .

صرخت المرأة ، بكل رعب الدنيا :

انصرف ... لن أفعل هذا مرة أخرى ... انصرف ... انصرف ...

قال ذلك المخلوق البشع ، وهو يمد نحوها يدين صغيرتين ، فى كل منهما ثلاثة أصابع ، تنتهى بمخالب حادة طويلة :

ــ لست تملكين الطاقة اللازمة لصرفى .

صرخت بكل رعب وفزع الدنيا ، واقترب ذلك الشىء البشع منها اكثر وأكثر ، وبدأ ذيله الشبيه بذيل جدى يتلاعب خلفه ، و...

وفجأة ، توقف ...

وخفق قلب الدكتور (وجدى) ، فى رعب هائل ، عندما ابتسم ذلك البشع ابتسامة شيطانية ، برزت إثرها أنيابه الحادة الرفيعة الطويلة ، وهو يقول :

ــ آه ... هناك آخر .

ثم بدأت الصورة تتسع ، ليملأ وجهــه البشع بصر الدكتور (وجدى) كله ، ويرن صوته المخيف فى أذنيه ، وهو يتابع :

ــ أنت جلبت هذا لنفسك .

وحاول الدكتور (وجدى) أن يصرخ ...

حاول أن يستنجد ...

Looloo
www.dvd4arab.com

أن يفعل أى شىء ...

ولكنه لم يستطع ...

أما ذلك الكائن البشع ، فقد غاص فى أعماقه ، وراح يسيطر على كيانه ، و ...

« إنها معجزة » ...

هتفت بها ممرضة الخامسة صباحاً ، وهى تستدعى الطبيب المناوب ، عبر الهاتف الداخلى للمستشفى ، قبل أن تلتفت إلى المريضة ، التى أفاقت من غيبوبتها العميقة ، متابعة فى انفعال :

ــ لقد استعادت مريضة الحجرة (13) وعيها ... لست أدرى كيف ... لقد حضرت فى موعدى ؛ لقياس وظائفها الحيوية ، فوجدتها واعية ، تشعر بالدهشة ، وتتساءل أين هى ... الدكتور (وجدى) ؟!... هذا هو أغرب ما فى الأمر .

وألقت نظرة على الدكتور (وجدى) ، الذى بدا ذاهلاً ، جامدًا ، يحدق أمامه فى لا شىء ، قبل أن تتابع ، فى انفعال بلغ ذروته :

كل وظائفه الحيوية تعمل جيدًا ، ولكنه واقع فى غيبوبة عجيبة ... غيبوبة ليس لها من تفسير .... أى تفسير .

* * *

6 ـ أهـل الهـوى ...

لابد أن أنتهى من كتابة هذه المذكرات بأقصى سرعة ، قبل أن أعجز عن كتابتها تمامًا فيما بعد ...

لابد أن يعرف العالم كله الحقيقة ...

هذا لو صدقنى أحد ...

ولكن كيف يصدقوننى ، وأنا أروى مذكراتى من داخل هذا المكان ...

من المستشفى ...

مستشفى الأمراض النفسية والعصبية ...

أرأيتم ... أنتم أنفسكم دخلتم فى زمرة غير المصدقين ، أو على الأقل المتشككين ، فور معرفتكم بالمكان ..

ولكننى لست مريضًا ...

صدقونى .. لست كذلك أبدًا ...

كل ما فى الأمر هو أن ما أرويه يبدو أشبه بالجنون ، ويدفع البعض إلى الإسراع بافتراض أننى مختل عقليًا ، أو على الأقل نفسيًا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكن حتى لا نضـيع الوقـت فى تفسيرات لا طائل منها ، دعونى أقص عليكم الأمر منذ البداية ...

منذ التقيت بمريضى (عزيز) ...

آه ... نسيت أن أخبركم أننى طبيب ... وطبيب أمراض نفسية وعصبية بالتحديد ... بل وصاحب نفس المستشفى ، الذى يتم احتجازى فيه كمريض ...

دعونا نبدأ من البداية ، قبل أن يفوت الوقت .

منذ دخل (عزيز) عيادتى فى البداية ، كدت أجزم بأنه مصاب بمرض ذهانى شديد ؛ إذ بدا شديد التوتر ، زائغ البصر ، أشعث الشعر ، ثيابه غير مهندمة ، ولحيته غير حليقة ، حتى أننى لم أصدق ما أخبرتنى به زوجته ، من أنه عالم بكتريولوجى معروف ...

لم يكن عنيفًا على الإطلاق ، بل بدا مستسلمًا ، بائسًا ، عاجزًا ، حتى إننى ، وبخلاف كل القواعد الطبية ، تعاطفت معه فى شدة ، وتعاملت معه برفق شديد ، وأنا أسأله مشفقًا عما يعانيه ، ومازلت أذكر إجابته العجيبة ، حتى يومنا هذا :

ـ ما أعانيه هو صورة مما سنعانيه جميعًا ، فى غضون عام واحد من الآن ...

سألته فى رفق :

ـ وما الذى سنعانيه جميعًا ؟!

تطلع فى وجهى لحظات ، بعينيه الزائغتين ، قبل أن يقول فى يأس ، وهو يشير بيده :

ـ سنعانى منهم ... سيسيطرون على عقولنا جميعًا ... على أدمغتنا ... على إرادتنا ... لن يسلم شخص واحد منهم ، لأنهم مثل البكتريا .

سألته فى حيرة :

ـ مثلها فى ماذا ؟!

زاغت عيناه أكثر ، وهو يلوح بذراعيه فى الهواء ، مجيبًا :

ـ إنهم ينتشرون فى الهواء .. لا تراهم أو تشعر بهم ، ولكنك تستنشقهم وتتنفسهم ، ومن رئتيك يغزون دمك ، ويسيرون عبره إلى مخك ، ويبدءون فى السيطرة عليـه ... فى البداية

Looloo
www.dvd4arab.com

ستسمعهم يتحدثون إليك ، ثم سيلقون عليك أوامرهم ، وفى خلال أسبوع واحد ، ستصير عبدًا لهم ، وستنسى حتى من أنت .

ثم مال نحوى ، حتى شعرت بالخوف ، وهو يضيف :

ــ ولا يوجد سبيل لمقاومتهم ... أى سبيل .

بدت لى كحالة هلوسة مثالية ، ونموذج للفصام شبه الكامل ، فغمغمت :

ــ وهل تطيع أوامرهم ؟!

هز رأسه ، قائلاً فى يأس :

ــ لن تملك سوى هذا .

تصورت أننى أمام حالة تستحق الدراسة بالفعل ، فملت نحوه ، أسأله فى اهتمام :

ــ هل يمكنك أن تروى لى القصة من البداية ؟!

تراجع فى مقعده ، وهو يواصل التحديق فى وجهى ، قبل أن يدفن وجهه بين كفيه ، وهو يغمغم ، وكأنه يحدث شخصًا آخر فى الحجرة :

ــ سأخبره ... من حقه أن يعرف ... بل من حق العالم كله أن يعرف ... نعم سأخبره .

وعندما رفع عينيه إلىّ ، كانتا محمرتين كالدم ، وهو يقول فى توتر :

ــ البداية كانت فى عينة بكتيرية جديدة ، حصل عليها طبيب سموم شاب ، حار فى تحديد فصيلتها ، فأرسلها إلى معملى لدراستها ، وإبلاغه بالنتائج ... ولقد بدأت الإجراءات الطبيعية ، فوضعت جزءًا من العينة فى مزرعة خاصة ؛ لتنمو فيها وتتكاثر ؛ لدراسة سلوكها فى هذا الشأن ، ووضعت قطعة على شريحة مجهرية ؛ لأفحصها عبر المجهر الخاص بالمعمل .

دارت عيناه فى محجريهما ، وهو يشير بيده ، قائلاً بلهجة مضطربة :

ــ وهنا كانت المفاجأة .

شعرت باهتمام شديد ؛ لمعرفة تلك المفاجأة ، فعدت أميل نحوه ، وهو يواصل بلا انفعال :

ــ كانت فصيلة حيوية ، لم أر لها مثيلاً من قبل ... شكلها الخارجى يشبه البكتريا بالفعل ... والبكتريا العصوية لو شئت

www.dvd4arab.com

الدقة ، أما سلوكها ، فلم يكن سلوك بكتيريا على الإطلاق ، بل كان أشبه بسلوك مستعمرات النمل ، أو خلايا النحل ...

بدت علىّ الحيرة ، وأنا أسأله :

ـ وكيف هذا ؟!

بدأت يداه تتحركان فى انفعال زائد ، وهو يجيب :

ـ كلهـا كانت متشابهة فى مظهرهـا الخارجى ، إلا أنها انقسمت إلى مجموعات ، لكل منها وظيفة محدودة ، والمزرعة البسيطة ، التى زرعتها فيها ، بدت بعـد أسبوع واحد أشبه بمستعمرة منظمة ، بها قائد يحتل مركزها ، وجنود يحيطون به ، ومجموعات تنتشر فى الأطراف ... مستعمرة حقيقية .

أثار الأمر اهتمامى بالفعل ، وخاصة مع تلك التفاصيل الفنية ، فسألته فى لهفة :

ـ أمازالت تلك المزرعة ، أو المستعمرة كما وصفتها ، فى معملك ؟!

هز رأسه نفيًا فى أسى ، وهو يجيب :

ـ كلا ... لقد نقلتها إلى وحدة الميكروسكوب الإليكترونى ، فى جامعة (القـاهرة) ، وما إن فحصتها هنـاك ، حتى تملكنى رعب حقيقى .

بدأ عرق عجيب يتصبب على وجهه ، على الرغم من برودة الجو ، وزاغت عيناه فى شدة ، وهو يلوح بيديه فى عصبية ، مكملاً بكل انفعاله :

ـ إنها ليست بكتريا ، كما بدت تحت ميكروسكوب عادى ، بل هى كائنات حية عاقلة ، تختفى تحت زى خداعى ، يشبه تركيب البكتيريا العصوية ، كائنات ما إن أدركت أننى قد كشفت أمرها ، حتى شنت هجومها على الفور .

تراجعت فى مقعدى ، أتطلع إليه لحظات فى حيرة ، محاولاً إعادة تشخيصى الأولى ...

الرجل ، على الرغم من مظهره وعصبيته ، يبدو واعيًا تمامًا لما يقول ...

وفى حياتى كلها ، لم أر مريضًا يمكنه التحدث عن أمور علمية ، بهذا القدر من الدقة والمعرفة ، على الرغم من أن روايته تشبه أفلام الخيال العلمى ، منها إلى الحقيقة !!

Looloo

وبكل فضولى ، سألته :

ــ وكيف شنت ذلك الهجوم ؟!

تضاعف انفعاله ، وهو يجيب :

ــ كنت قد اتخذت كل الاحتياطات ، للحفاظ على تلك المزرعة ، وعلى الرغم من هذا ، فقد رأيتها تزحف على المكتب ، أمام عينى ، ثم سقطت أرضًا ، وتحطمت تمامًا ...

مال نحوى بغتة ، وبدا أقرب إلى الانهيار ، وهو يضيف :

ــ ومع تحطمها ، انطلقوا ينفذون خطة الغزو .

غمغمت بكل دهشتى :

ــ غــزو ؟!

لوح بذراعيه مرة أخرى ، صائحًا :

ــ لم أدرك هذا فى البداية ... فقط أسرعت أجمع بقايا ذلك الطبق الزجاجى ، الذى حوى المزرعة ، وعندما فحصتها ، لم أجد بها أى أثر لكائن واحد منها ، وأدهشنى أن تختفى كلها فى لحظة واحدة ... ولم أدرك بالطبع أنهم فى الهواء من حولى ، وأننى أستنشقهم ، وأطلقهم داخل جسدى ، دون أن أدرى .

بدأت أشعر بقلق وخوف حقيقيين ، فى حين نهض هو من مقعده بحركة حادة ، وهو يواصل صياحه وانفعاله :

ــ قبل أسبوع واحد ، بدأت أسمع أصواتهم داخلى ، وأخبرونى كل شىء عنهم ... أخبرونى أنهم جاءوا مع نيزك صغير ، سقط على الأرض ، فى غفلة من الزمن ، وهالتهم فى البداية أحجامنا الهائلة ، ثم سرعان ما أدركوا أن كل ما يحرك تلك الأجساد الضخمة ، بالنسبة لهم ، هو مخ صغير نسبيًا .

سألته ، محاولاً كتمان قشعريرة سرت فى جسدى :

ــ وكيف أدركوا هذا ؟!

أشار إلى رأسه ، قائلاً :

ــ من مخى ... من ذاكرتى ... من جسدى كله .... لقد علمت منهم أننى البداية ، وأنهم سينتشرون فى الهواء ، عبر جهازى التنفسى ؛ ليغوصوا فى كل جسد أرضى ، ويسيطرون علينا تمامًا .

بدأ يصرخ بكلماته ، على نحو مقلق ، فضغطت الزر الموجود على سطح مكتبى ، وسرعان ما ظهر ممرضو المستشفى ، فقلت لهم ، محاولاً السيطرة على انفعالاتى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ الأستاذ (عزيز) يحتاج إلى راحة طويلة ... سنستضيفه لدينا لبضعة أسابيع ، حتى يسترد عافيته .

قاوم (عزيز) طاقم التمريض فى استماتة ، وهو يصرخ :

ـ أنت أيضًا لا تصدقنى .... لا أحد يصدقنى ... هذا هو مكمن قوتهم ... لا أحد يقنع بوجودهم .... سيسيطرون على الجميع ... أنت التالى أيها الطبيب ... أنت رسولهم التالى ؛ للقضاء على إرادة البشر .

ظل يواصل صرخاته ، وهم يحملونه عنوة إلى قسم الحالات العنيفة ، وبكت زوجته فى مرارة ؛ عندما أخبرتها أنه سيحتاج إلى عـــلاج طويل ؛ للخروج مـــن حالة الهلوســـة التى يعيش فيها ...

فى البداية ، اضطررنا لحقنه بعقاقير مهدئة قوية ، حتى تمنع إصابته بأى انهيار عصبى عنيف ، وعلى الرغم مما أصابته به من استكانة ، كان يحدث نفسه طوال الوقت ، باعتبار أنه يتحدث مع تلك الكائنات الميكروسكوبية ، التى تعيش داخله .

ثم ، وبعد يومين فحسب ، صار شديد الهدوء ، شارد البصر ، يطيع الأوامر طاعة عمياء ، دون جدل أو مناقشة ...

ولكنه واصل الحديث مع نفسه ...

أو معهم ...

تصورت عندئذ أننا قد نجحنا فى السيطرة على حالته ، وبدأت أدون هذا فى ملفه ، حتى كانت ليلة باردة ، سهرت فيها لإنهاء بعض الملفات فى مكتبى ، عندما بدأ الاتصال ...

فجأة ، سمعت صوتًا من داخلى ، يقول فى آلية :

ـ فهمنا لتكوينكم يزداد يومًا بعد يوم .

شعرت برعب هائل ، وخيل إلىّ أننى سأقضى نحبى رعبًا ؛ فالصوت كان ينبعث من أعماقى بالفعل ... من ثنايا مخى ....

وبكل رعب الدنيا ، صرخت :

ـ ماذا تريدون منى ؟!

أتانى الصوت نفسه يقول :

ـ كل ما أردناه حصلنا عليه بالفعل ... وكل ما عليك الآن ، هو أن تنقلنا إلى كل من تعرف ... عبر الهواء .

رحت أصرخ بكل قوتى :

Looloo
www.dvd4arab.com

ـ لا ... هذا ليس حقيقيًا ... إنها هلاوس سمعية ... مجرد هلاوس سمعية .

قال ذلك الصوت بنفس الآلية :

ـ هذا ما سيقوله الآخـرون ... وهذا يضمن عـدم كشف أمرنا ... لقـد أصبحت تحـت سيطرتنا تقريبًا ... انقلنـا عبـر الهواء ... انقلنا إلى كل من تعرفه .

رحت أصرخ ، وأصرخ ، وأصرخ ، حتى امتلأ مكتبى بكل أفراد النوبة الليلية ، من أطباء وطاقم تمريض ..

حاولت أن أشرح لهم الأمر ، إلا أن نظرات الإشفاق فاضت من عيونهم ، وأسرع بعضهم يحضر العقاقير الطبية المهدئة ، و...

وأنا الآن أرقد فى جناح خاص ، مجاور لجناح (عزيز) ، وقد صرت مثله ، زائغ العينين ، أشعث الشعر ، أتلقى علاجى فى انتظـام ، وأنا أعلم أنه فى أية لحظة مـن الآن ، ستكتمل سيطرتهم على عقلى ، ولن أملك إلا طاعة أوامرهم .

ولكن هذه المذكرات ستكشف أمرهم ، إذا ما قرأها شخص لديه بعض الخيال ...

وعندئذ ستبدأ المقاومة ...

مقاومة الغزاة ...

لا ... ليسوا غزاة ... إنهم السادة ... السادة الجدد ...

كما تأمرون أيها السادة ... سأمزق هذه المذكرات فورًا ، وسأنفذ أوامركم ، وأنقلكم عبر الهواء ، لكل من ألتقى به ...

أنا عبدكم المطيع أيها السادة ...

مرونى أنفذ ...

فأنتم السادة الآن ...

سادتى ...

وسادة الأرض ...

الجدد .

* * *

(تمت بحمد الله)

Looloo
www.dvd4arab.com

1 ـ ميـــراث ..

« جدك توفى أمس ... احضر لتسلم الميراث ... »

برقية قصيرة ، وصلتنى حاملة تلك الكلمات المختصرة ، من بلدة بسيطة ، على الحدود السورية اللبنانية ...

ولقد أدهشتنى تلك البرقية فى الواقع ...

هذا لأننى لم ألتق بجدى لأمى هذا قط ، منذ وعت عيناى الدنيا ...

كل ما عرفته عنه ، هو تلك الصورة الكبيرة ، التى كانت تحتفظ بها أمى له ، والتى كانت تثير خوفى منذ طفولتى ؛ بسبب نظراته القوية القاسية فيها ، وشاربه الضخم ، الذى يحتل نصف وجهه ، ويمنحه مظهرًا يناسب بدايات القرن العشرين ، بأكثر مما يناسب زمننا هذا ، وخاصة مع تلك الحلة الثمينة النمطية ، التى يرتديها فى الصورة ، مستندًا إلى عكاز ضخم ، من الواضح أنه كان يتكئ عليه من باب الوجاهة ، لا من باب العجز ...

وكانت أمى ، اللبنانية المولد والجنسية ، تتحـــدث عنـــه دومًا بفخر واعتزاز ، وتحكى الكثير عن قوته وشهامته وبطولاته ، فى مواجهة المحتلين ...

www.dvd4arab.com

وفى مـــرة أو مرتين فحســـب ، تحدثت عن غضبه منها ، ومقاطعته لها ؛ عندما تزوجت من مصرى ، وأقامت معه فى (مصر) ، حيث ولدت أنا ونشأت ...

ولكن جدى هذا لم يحاول الاتصال بى قط ، على الرغم من أن أمى كانت تؤكد دومًا أننى حفيده الوحيد ؛ نظرًا لأنها ابنته الوحيدة ، وأنا ابنها الوحيد ...

ولم تذكر شيئًا أبدًا عن ثرائه ...

أو حتى عن مهنته ...

ولقد توفيت أمى منذ سنوات قليلة ، وانقطع بوفاتها الحديث عن جدى ، وانقطعت كل صلة سماعية لى به تمامًا ...

ثم فجأة ، تصلنى تلك البرقية !!...

لم أكن قـــد زرت (لبنـــان) قـــط ، ولم تكن تلـــك الزيارة ضمن مخططاتى القريبـــة ، أو حتى البعيـــدة ، حتى وصلت تلك البرقية ...

كانت تحمل توقيعًا لشخص يدعى (عدنان الموالى) ...

واسم تلك البلدة ، التى أرسلت منها ...

ولكن الحديث عن الميراث ، جعلنى أعد حقيبتى ، وأستقل أول طائرة إلى (بيروت) ، وأنا أحلم بذلك الميراث ، الذى لا أعلم مقداره أو حدوده ، ولكنه أثار فى نفسى خيالات عديدة ، وأمل فى الخلاص من الأزمات المالية ، التى أمر بها ، منذ وفاة والدى ، وضياع ثروته ، مع الأزمة الاقتصادية العالمية ...

وفى مطار (بيروت) وقفت أنتظر وصول (عدنان) هذا ، والذى أبلغته برقيًا بموعد وصولى ...

ولقد وصل بالفعل ، بعد عشر دقائق فحسب ، من خروجى من المطار ...

ولم أشعر بالارتياح قط ، وأنا أصافحه للمرة الأولى ...

لقد جاء فى سيارة قديمة للغاية ، ولكنها نظيفة ومعتنى بها جيدًا ، والعجيب أنها مازالت تعمل بكفاءة ، على الرغم من أن عمرها يتجاوز نصف القرن ...

والرجل نفسه كان يتجاوز هذا العمر أيضًا ...

كان لديه شعر أشـيب كثيف ، وشـــارب يماثل شارب جـدى ضخامة ، ووجه كثيـــر التجاعيد ، وعينان ضيقتان ، تكاد تتبين

Loolo www.dvd4arab.com

لونهما فى صعوبة بالغة ، من شدة ضيقهما ، كما كان صوته خشنًا غليظًا ، إلى حد يدهشك ...

وكان قليل الكلام ، إلى حد مستفز ...

ولقد صافحنى (عدنان) فى برود عجيب ، ثم اصطحبنى إلى سيارته القديمة ، التى قطعنا بها رحلة طويلة مجهدة ، لم أتصور قدرتها على قطعها ، قبل أن نصل إلى تلك البلدة الصغيرة ، التى عاش بها جدى ومات ...

وأول ما لاحظته ، عندما وصلنا إلى تلك البلدة ، هو ذلك النفور العجيب ، الذى يصيب كل من نمر به ، عندما يتبين السيارة ، وهوية قائدها ...

كان نفورًا يمتزج بلمحة من الخوف والتوتر ....

ولكن (عدنان) هذا لم يبال ، وهو يواصل طريقه ، إلى درب ضيق ، يقود إلى أحد الجبال اللبنانية ، التى شاهدتها فى أفلام السينما فحسب ...

وعبر ذلك الدرب الضيق ، تواصلت رحلتنا ، و(عدنان) يجيب تساؤلاتى العديدة بكلمات غاية فى الاقتضاب ، مشيرًا إلى أننى سرعان ما أعرف كل شىء ...

وأخيرًا ، توقفت بنا السيارة ، عند قمة الجبل تقريبًا ، أمام منزل من طابقين ، له طراز قديم ، مشيد وحده ، فى تلك البقعة ، التى تطل على الحدود السورية اللبنانية مباشرة ...

وهنا ، أشار (عدنان) إلى المنزل ، قائلاً بصوته الغليظ الخشن :

ــ هذا هو ميراثك .

أدهشنى أن تنتهى بى الرحلة الشاقة إلى هــذا ، فغمغمت معترضًا :

ــ فقط ؟!

رمقنى (عدنان) بنظرة عجيبة دون تعليق ، ثم حمل حقيبتى الوحيدة ، واتجه بها نحو ذلك المنزل ، فتتبعته دون مناقشة ، ودخلت معه ، ولأول مرة ، المكان الذى عاش به جدى ...

لم يكن المنزل من الداخل يختلف كثيرًا عن طرازه من الخارج ؛ إذ كان كل شىء فيه عتيق ، يعود إلى قرن من الزمان على الأقل ...

الأثاث ، والتحف ، وتلك المدفأة القديمة ...

كل شىء ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وكان هناك غبار خفيف ، يكسو كل شىء فيه تقريبًا ، حتى لتتصور أن يدًا لم تمتد إليه بالعناية ، منذ زمن ليس بقليل ...

وكانت الإضاءة فيه خافتة ، إلى حد مستفز ، حتى إننى سألت (عدنان) هذا ، فور رؤيتى له :

ــ كم يبلغ ثمن هذا المنزل ؟!

أجابنى فى غلظة :

ــ إنه ليس للبيع .

أجبته فى غلظة مماثلة :

ــ لو أنه ميراثى ، فهذا شأنى أنا .

رمقنى بنظرة لم ترق لى إطلاقًا ، وهو يصعد بحقيبتى إلى الطابق الثانى ، مكررًا :

ــ إنه ليس للبيع .

أغاظنى قوله هذا كثيرًا ، ليس لتدخله فى شئونى فحسب ، ولكن لأننى ، ومنذ النظرة الأولى ، اتخذت قرارًا بعدم الاحتفاظ بهذا المنزل الكئيب ، أيًا كانت الظروف ...

وفى سرعة ، ومن خلال خبرتى فى العمل التجارى ، رحت أقيم تلك التحف الكثيرة ، التى تملأ كل الأركان ، وقدرت أنها وحدها تساوى ثروة ، تكفى لإخراجى من أزمتى المالية تمامًا ...

وبغض النظر عن موقف (عدنان) المتعنت ، اتخذت قرار البيع ، قبل حتى أن أصعد خلفه إلى الطابق الثانى ، الذى يحوى ثلاث حجرات ، وضع (عدنان) حقيبتى فى واحدة منها ، تحوى حجرة نوم عريقة الطراز ، تشبه تلك التى نراها فى الأفلام التاريخية ، بفراشها الضخم ذى الأعمدة ، وقطع الأثاث الكبيرة ، والإضاءة شديدة الخفوت ، والتى قررت استبدالها بإضاءة قوية ، فى الصباح التالى مباشرة ...

ولقد وضع (عدنان) حقيبتى ، ثم استدار لينصرف ، دون كلمة إضافية ، فسألته فى لهجة قاسية بعض الشىء :

ــ وماذا عن الحجرتين الأخريين ؟!

تجاهل سؤالى تمامًا ، وهو يغادر الحجرة ، فعدوت خلفه ، أسأله فى خشونة حادة :

ــ ماذا بهما ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

التفت إلىّ فى بطء مستفز ، وهو يجيب :

ــ أشياء خاصة .

قلت فى حدة :

ــ لقد ورثت المنزل بكل ما فيه ... أليس كذلك ؟!

صمت لحظات ، متطلعًا إلىَّ بعينيه شديدتى الضيق ، قبل أن يجيب فى بطء :

ــ يفترض هذا .

أغاظتنى إجابته ، فقلت فى شىء من العصبية :

ــ ماذا يعنى هذا ؟!... إما أنه ميراثى أو لا .

واصل صمته لحظات أخرى ، ثم أجاب ، وهو يشيح بوجهه ، مكملاً انصرافه :

ــ إنه كذلك .

وتوقف قليلاً ، قبل أن يلتفت إلىّ نصف التفاتة ، مضيفًا :

ــ لو أنك تستحقه .

بدا لى شديد الوقاحة بقوله هذا ، فأمسكت كتفه فى غضب ، صائحًا فى وجهه :

ــ إنك لم تخبرنى بعد ، ما شأنك بكل هذا .

وعلى الرغم منى ، سرت فى جسدى قشعريرة عجيبة ، عندما أمسكت كتفه ...

لقد كانت كتفه لينة ، على نحو عجيب ...

أو مخيف ، لو شئت الدقة ...

كانت كأنها ، على الرغم من نحوله ، لا تحوى أية عظام ... على الإطلاق ...

كانت رخوة ، حتى لتشعر كأنك قد أمسكت قطعة من المطاط اللدن ، المستخدم لصنع ألعاب الأطفال ...

وبحركة حادة ، أبعدت يدى عنه ، وتراجعت خطوتين إلى خلف ، وأنا أحدق فيه فى مزيج من الدهشة والذعر ...

وبكل توترى هتفت :

ــ من أنت بالضبط ؟!..

Looloo
www.dvd4arab.com

وهنا ، لمحت على شفتيه شبح ابتسامة ساخرة ، وهو يجيب فى بطء ، وبنفس اللهجة الغليظة والصوت الخشن :

ـ تستطيع أن تقول : إننى مدير هذا المنزل .

سألته فى عصبية ، وأنا أحاول تجاهل ملمس كتفه :

ـ ومن وضعك فى هذا المكانة ؟!

أجابنى فى حسم :

ـ جدك .

ثم مال نحوى ، على نحو مخيف ، وهو يضيف ، فى شىء من الصرامة :

ـ وهذا أحد شروط الميراث .

كانت أول مرة أشتم فيها رائحة أنفاسه الكريهة ...

وسرت فى جسدى قشعريرة أخرى .

لقد كانت أنفاسه أشبه برائحة قبر ، انفتح بعد طول إغلاق ...

رائحة تحمل هواء الموت الفاسد ، وأنفاس مئات السنين من النسيان ...

وتراجعت فى خوف حقيقى ، وأنا أتساءل : لماذا فعل جدى بى هذا ؟!

لماذا ؟!...

وبكل عصبيتى وانفعالى ، سألته :

ـ وأين وصية جدى ، التى قالت هذا ؟!

أجابنى بغلظته وخشونته فى برود :

ـ سآتيك بها ، فى الصباح الباكر .

وقفت لحظات أتطلع إليه ، وأتبادل معه نظرة عصبية ، قبل أن أشير إلى الحجرتين المغلقتين ، قائلاً بكل ما استطعت استكماله فى نفسى من صرامة :

ـ افتح الحجرتين ... أريد أن أنظر ماذا بهما .

وقف يتطلع إلىَّ بعينيه شديدتى الضيق لحظات ، قبل أن يجيب فى بطء :

ـ لست أدرى أين وضع جدك مفتاحيهما .

قلت فى حدة :

ـ أى قول هذا ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجاب فى برود ، وهو يبتعد عنى :

ـ سأبحث عنهما فى الصباح .

تابعته ببصرى ، وهـو يهبـط إلى الطابق الأرضى ، ويختفى داخل حجرة وحيدة فيه ، ولم أشعر بالارتياح على الإطلاق ، وأنا أتطلع إلى الحجرتين المغلقتين ، وبذلت جهدًا حقيقيًا فى محاولة فتحهما ، إلا أننى لم ألبـث أن شعرت باليأس ، فتركتهما ، واتجهت نحو حجرة النوم الخاصة بى ، و ...

وفجأة ، سمعت ذلك الأنين ...

أنين شخص يتعذب بشدة ...

أو يحتضر ...

وفى هذه المرة ، لم تسر فى جسدى قشعريرة ...

بل انتفض كله ...

وبمنتهى العنف ...

فقد كان ذلك الأنين ينبعث من إحدى الحجرتين المغلقتين ...

مباشرة .

* * *

2 ـ عدنـان ..

لم يغمض لى جفن لحظة واحدة ، فى ليلتى الأولى ، فى منزل جدى ...

صحيح أن ذلك الأنين ، الذى انبعث من الحجرتين المغلقتين ، لم يستغرق سوى دقيقة واحدة على الأكثر ، إلا أنه أصابنى بتوتر لا مثيل له ...

ولقد حاولت جاهدًا فتح باب تلك الحجرة ، التى انبعث منها الأنين ...

حاولت ...

وحاولت ...

وحاولت ...

ولكن كل محاولاتى باءت بفشل ذريع ...

كان الباب مصنوع من خشب ثقيل ، جعله أشبه بالفولاذ ، وأكثر صمودًا من باب قلعة منيعة ... ولكن ما أثار توترى أكثر ، هو أننى لم أستطع العثور على (عدنان) هذا أبدًا ...

www.dvd4arab.com

لقد شاهدته بنفسى يدخل الحجرة ، أسفل سلم الطابق الثانى ، ولم أشاهده يغادرها ، أو يغادر المنزل قط بعدها ، وعلى الرغم من هذا ، فقد اختفى تمامًا ، دون أن يترك خلفه أدنى أثر ...

ولقد هبطت إلى الطابق السفلى ، وناديته أكثر من مرة ، دون ان أحصل على جواب ، لذا فقد اتجهت إلى تلك الحجرة ، التى رأيته يدخلها ، وفتحت بابها ، و ...

وكانت مفاجأة عجيبة ...

الحجرة خالية تمامًا ...

لم تكن خالية من (عدنان) فحسب ، ولكن من كل شىء ...

وأى شىء ....

كانت مجرد حجرة صغيرة ، بلا نوافذ ، وليس لها سوى باب واحد ، وهو ذلك الذى رأيته يعبره ...

وبخلاف هذا ، لم يكن هناك شىء ...

على الإطلاق ...

ولأكثر من ساعة كاملة ، رحت أفحص الحجرة ، وأدق عليه بقبضتى ؛ محاولاً كشف أية فجوات سرية خلفها ...

ولم يكن هناك شىء ...

ولقد ضاعف هذا من توترى ألف مرة ...

بل ربما ألف ألف مرة ...

وعلى ذلك الضوء الخافت المزعج ، رحت أتأمل منزل جدى مرة أخرى ...

ومع تلك العراقة الواضحة ، فى كل ما حولى ، وجدت عقلى يطرح تساؤلاً محيرًا ...

ماذا كان يعمل جدى بالضبط ؟!...

أية مهنة كان يمتهن ؟!...

أمى لم تذكر هذا فى أحاديثها قط ...

كل ما ذكرته هــو بطولاته ، التى أظــن أن معظمها من صنع خيالها ، أو رغبتهــا فى التبــاهى بوالدها ، الذى قاطعها طيلة عمرى ...

ولا شىء عن تاريخه ...

أو مهنته ...

Looloo
www.dvd4arab.com

بل لا شىء حتى عن أمها !!...

انتبهت فجأة ، إلى أن أمى لم تحدثنى عن أمها قط ، طوال حياتها ...

فقط عن أبيها ...

•

فلماذا ؟!...

هل توفيت والدتها ، وهى بعد أصغر من أن تذكرها ؟!...

أم إنها كانت تمتهن مهنة ، تخجل من ذكرها ؟!...

استغرقتنى الأفكار والذكريات ، وأنا أجلس فى صالة منزل جدى الواسعة ، المليئة بالتحف الأثرية ، والتى جعلها الضوء شديد الخفوت ، تبدو فى صورة مخيفة ، إلى الحد الذى قررت معه أن يكون أول ما أفعله فى الصباح ، هو النزول إلى تلك البلدة الصغيرة ، عند سفح الجبل ، وشراء مصابيح قوية ، تحل محل تلك المصابيح القديمة المزعجة ...

وعندما بدأت الشمس رحلة الشروق ، وأرسلت دفعات ضوءها الأولى ، عبر النوافذ الضيقة ، بدأ رأسى يدور نسبيًا ، وشعرت وكأننى نصف نائم ، قبل أن أنتبه فجأة ، إلى صوت حركة ما فى المكان ...

وبحركة حادة متوترة ، اعتدلت وأنا أفتح عينى عن آخرهما ، وشعرت بجسدى ينتفض انتفاضة خفيفة ، عندما وقع بصرى على (عدنان) ، بوجهه شديد التغضن ، وهو يضع أمامى صينية طعام صغيرة ، عليها رغيف صغير من الخبز ، وبيضة مسلوقة ، وطبق يحوى القليل من اللبنة اللبنانية الشهيرة ...

وبكل توترى ، هتفت به :

ـ من أين جئت ؟!

غمغم فى خشونة :

ـ أنا لم أغادر قط .

حدقت فيه فى دهشة مستنكرة ، قبل أن أهتف :

ـ ولكننى بحثت عنك فى كل مكان ، ولم أعثر لك على أدنى أثر .

أجابنى بنفس الخشونة ، وفى اقتضاب مستفز :

ـ أنا هنا طوال الوقت .

حدقت فيه مرة أخرى ، وكأننى أراه للمرة الأولى ، ثم تجاوزت عن سؤاله عن أين أمضى ليلته ، وأنا أسأله فى توتر :

www.dvd4arab.com

ــ وماذا عن ذلك الأنين ؟!

رفع عينيه الضيقتين إلىّ فى بطء ، وهو يسألنى فى حذر :

ــ أى أنين ؟!

أشرت إلى الطابق الثانى ، وأنا أقول فى شىء من الحدة :

ــ أمس ، وعندما صعدت إلى الطابق الثانى ، كان هناك أنين ينبعث من إحدى الحجرتين المغلقتين هناك .

بدا لى كأنه يتطلع إلىّ فى إمعان ، إذ كان من الصعب الجزم بهذا ، مع ضيق عينيه الشديد ، ولكنه استغرق لحظات ، قبل أن يجيب فى بطء :

ــ مـــن الواضـــح أن رحلتك أرهقتك كثيرًا أمس ، فتصورت أن ...

قاطعته فى حدة :

ــ لم أكن واهمًا ... كان هناك أنين واضح ، ينبعث من إحدى الحجرتين ...

صمت لحظات أخرى ، ثم أجاب بنفس البطء :

ــ ليس أنينًا ... إنه صوت الهواء ، عبر أنابيب التهوية ..

تطلعت إليه فى شك ، جعله يضيف :

ــ جدك كان يسبق زمانه بزمان ، ولقد أضاف إلى تصميمات منزله شبكة من أنابيب التهوية ، تمر بكل الحجرات ... وفى بعض الليـــالى ، يمر الهـــواء عبر تلك الأنابيب ، فيصدر ذلك الصوت الشبيه بالأنين .

واصلت نظرة الشك لحظات ، فأشار بيده إلى الطابق العلوى ، متابعًا :

ــ ستجد واحدة من تلك الفتحات ، بالقرب من أسفل فراشك .

لم يقنعنى قوله أبدًا ، فملت نحوه ، أقول فى صرامة :

ــ أريد فتح الحجرتين ... اليوم .

هز كتفيه ، قائلاً فى خشونة :

ــ أخبرتك أننى سأبحث عن مفتاحيهما ، بين متعلقات جدك .

قلت فى صرامة ، محاولاً تقليد خشونته :

ــ لن أنتظر حتى تفعل .

Looloo
www.dvd4arab.com

رفع رأسه بحركة تساؤل ، فأضفت فى صرامة وخشونة أكثر :

ــ سأهبط إلى البلدة ، وأحضر من يفتحهما بالقوة .

مضت لحظات ، وهو يتطلع إلىّ فى صمت ، ثم أشاح بوجهه ، وقال فى لهجة ، اشتممت منها رائحة سخرية :

ــ يمكنك أن تحاول .

كان قد أولانى ظهره تقريبًا ، عندما قلت فى عناد :

ــ سأذهب فورًا .

صمت لحظة أخرى ، قبل أن يلتفت إلىّ فى بطء ، وهو يخرج مفاتيح تلك السيارة القديمة ، ويناولنى إياها ، قائلاً :

ــ افعل ... ولكن تناول طعام إفطارك أولاً .

قلت ، وأنا أنهض فى حدة :

ــ لست أشعر بالجوع .

فوجئت بسحنته تنقلب على نحو مخيف ، وهو يقول ، فى لهجة أقرب إلى الشراسة :

ــ ستتناول طعام إفطارك أولاً ... من الضرورى أن تظل بصحة جيدة .

كان يمكننى القول هنا أننى قد واجهت لهجته ونظراته المخيفة فى شجاعة ، ولكن الواقع أننى لم أفعل ، بل شعرت فى أعماقى بشىء من الخوف ، جعلنى أعاود الجلوس ، وأبدأ فى تناول طعام الإفطار بالفعل ، ثم لم يلبث ذلك العناد أن عاودنى ، فقلت فى شىء من العصبية :

ــ سأستبدل كل هذه المصابيح أولاً ... إننى أبغض هذا الضوء الخافت .

أشاح بوجهه مرة أخرى ، وهو يكرر :

ــ يمكنك أن تحاول .

قالها ، ثم اتجه فى هدوء نحو باب المنزل ، وغادره دون أن يضيف كلمة واحدة ...

كنت قــد انتهيت من تناول إفطارى الصغير بالفعل ، عندما اختفى خارج المنزل ، فاختطفت مفاتيح السيارة ، واندفعت خلفه ، وأنا أتساءل :

ــ هل سأذهب وحدى ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

فتحت باب المنزل بحركة حادة ، وأنا أنطق عبارتى هذه ، ثم ارتفع حاجباى بعدها ، فى دهشة كبيرة ..

لقد شاهدت (عدنان) يغادر المنزل ، قبلى بدقيقة واحدة ، وعلى الرغم من هذا ، فلم يكن له أى أثر خارجه ...

فقط كانت تلك السيارة القديمة تستقر ، على بعد أمتار قليلة ، تحت ضوء الشمس ، وحولها المكان خاليًا ...

تمامًا ...

درت حول المنزل أبحث عنه مرة ...

ومرتين ...

وثلاث ...

ولكنه كان قد اختفى تمامًا ، كما لو أن الأرض قد انشقت وابتلعته ...

ضاعف هذا من توترى كثيرًا ، وضاعف أيضًا من إصرارى على إحضار من يفتح الحجرتين المغلفتين ، ويستبدل تلك المصابيح الخافتة ...

وفى حزم وإصرار ، ركبت السيارة القديمة ، وأدرت محركها ، وأدهشتنى قوة المحرك ، فى سيارة عتيقة مثلها ، ولكننى قدتها فى يسر ، هابطًا عبر الممر الضيق ، إلى حيث تلك البلدة الصغيرة ...

ولقد أدهشنى رد فعل سكان تلك البلدة ، كما أدهشنى فى المرة الأولى ..

لقد كانوا يتحاشون السيارة ، كما لو أنهم يتحاشون حيوانًا مفترسًا ، وعندما توقفت ؛ لأسأل أحدهم عن نجار قريب ، انطلق يعدو مبتعدًا ، كما لو أن شياطين الأرض كلها تطارده ...

وأخيرًا توقفت عند ما بدا لى أشبه بمقهى صغير ، وهبطت من السيارة ، التى يرمقها الكل بنظرة خوف واضحة ، وسألت صاحب ذلك المقهى عن نجار ، فتطلع إلىّ لحظات فى توتر ، قبل أن يسألنى فى خفوت :

ـ لأى غرض ؟!

أشرت بيدى إلى منزل جدى أعلى الجبل ، وأنا أجيبه :

ـ هناك أبواب مغلقة ، أعجز عن فتحها .

قال الرجل مستنكرًا :

ـ هناك ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أجبته فى حيرة :

ــ نعم .... هناك .

صمت لحظات أخرى ، قبل أن يجيب فى حزم ، غلب عليه توتر شديد :

ــ لو دفعت كل ما تملك ، لن تجد شخصًا واحدًا ، فى البلدة كلها ، يقبل بالصعود إلى هناك .

أدهشتنى إجابته فى شدة ، فسألته فى توتر :

ــ ولماذا ؟!

مال نحوى ، فى توتر يفوق توترى ألف مرة ، وهو يجيب :

ــ لأن من يذهب إلى هناك ، لا يعود ... أبدًا .

وكانت إجابته أشبه بالصدمة ...

صدمة بلا حدود ....

على الإطلاق .

* * *

3 ـ القصـــر ..

طوال طريق عودتى إلى منزل جدى ، لم أتوقف لحظة واحدة عن التفكير ، فى موقف أهل تلك البلدة الصغيرة منه ...

وأقصد من منزل جدى ، وليس من جدى نفسه ...

هذا لأنه من العجيب أن أحدًا ، فى البلدة كلها ، لم ير جدى فى حياته قط ...

والأعجب أنه لا هو ، ولا حتى (عدنان) هذا ، قد تعاملا مع أى مكان فى البلدة كلها ، منذ عهد طويل للغاية ...

وحديث ذلك الرجل ، عن أن أحدًا لا يعود من منزل جدى ، كان حديثًا عجيبًا ، مازلت أذكر كل حرف منه ، عندما سألته :

ــ وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟!

أشار بيده ، وهو يجيب فى حذر :

ــ لست أدرى ، جدى أخبرنى هذا ، عندما كنت صغيرًا .

تطلعت إليه فى دهشة كبيرة ، عندما نطق الجزء الأخير من عبارته ...

Looloo
www.dvd4arab.com

فوفقًا لملامحه ، كان يبدو فى منتصف الخمسينيات من عمره ، فكيف روى له جده ذلك ، عن منزل جدى ، عندما كان صغيرًا ؟!..

إننا نتحدث عن نصف قرن من الزمان !!...

عن خمسين عامًا دفعة واحدة!! .. .

فكيف ؟! ..

التفسير الوحيد ، الذى جال بذهنى ، هو أن هذا المنزل ليس منزل جدى منذ البداية ، بل هو ميراث عائلى ، يعود إلى عهد بعيد ...

هذا يفسر عراقته الواضحة ...

وذلك الكم الكبير من التحف فيه ...

والإضاءة الخافتة ...

زاد تذكر تلك الإضاءة الخافتة من توترى ، فتحسست الحقيبة الصغيرة ، التى تستقر على المقعد المجاور ، والتى تحوى أقوى مصابيح كهربية وجدتها فى البلدة ؛ حتى أتجاوز تلك الإضاءة المستفزة ...

أما فيما يتعلق بالباقى ، فقد كان (عدنان) على حق ...

لم يرض مخلوق واحد بالصعود معى إلى المنزل ؛ لفتح البابين المغلقين ، على الرغم من المبلغ شديد الإغراء ، الذى عرضته ...

كانوا يخافون الذهاب إلى هناك على نحو عجيب ...

بل يخشون حتى مجرد الحديث عن ذلك المنزل ...

وكلهم ، بلا استثناء ، يجهلون تمامًا أى شىء عن جدى ...

لا أحد رآه ...

أو سمعه ...

أو علم حتى بوجوده ...

الوحيد الذى يعرفونه ، هو (عدنان) ...

وحتى هو ، كانوا يجهلون اسمه تمامًا ...

كل ما يعرفونه عنه ، هو أنه ذلك الشيخ المخيف ، الذى يهبط بسيارته العريقة ، من (منزل الشر) ، وهو الاسم الذى يطلقونه على منزل جدى ، ويعبر بلدتهم فى بطء ، دون أن يلقى

www.dvd4arab.com

نظرة واحدة على أهل البلدة ، الذين لا يرفعون أبصارهم عنه ، وعن سيارته ، حتى يختفى فى الوادى ...

وطوال دهر كامل ، لم يتوقف فى البلدة مرة واحدة ...

ولا مرة واحدة !!...

توقفت ذكرياتى ، عندما أوقفت السيارة أمام منزل جدى ، وحملت مفاتيحهما ، مع حقيبة المصابيح إلى الداخل ، وأنا أنادى (عدنان) ...

ومن تلك الحجرة الخالية ، فى الطابق السفلى ، رأيته يخرج ، ويغلق الباب خلفه فى إحكام ، فسألته ، دون أن أنجح فى كتمان عصبيتى وتوترى :

ـ ماذا كنت تفعل هناك ؟!

سألنى فى برود :

ـ أين ؟!

كان السؤال مستفزًا ، حتى إنه زاد من عصبيتى ، وأنا أشير إلى الحجرة ، التى خرج منها ، صائحًا فى حدة :

ـ فى تلك الحجرة الخالية .

ارتفع حاجباه الكثان على نحو عجيب ، وهو يقول مستنكرًا :

ـ خالية ؟!

اندفعت نحو الحجرة ، وأنا أواصل بنفس الحدة :

ـ نعم ... خالية ... لقد بحثت عنك فيها أمس ، و ...

فتحت باب الحجرة بحركة عصبية ، وأنا أنطق عبارتى هذه ...

ثم توقفت الكلمات فى حلقى دفعة واحدة ...

واتسعت عيناى عن آخرهما ...

فتلك الحجرة ، التى رأيتها خالية بالأمس ، إلا من أربعة جدران ، صارت فجأة ممتلئة بالأثاث ، الذى ينتشر فى كل ركن منها ...

فراش قديم ...

ومنضدة طعام صغيرة ...

وعدة مقاعد ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ودولاب شبه متهالك ...

وقطعة أثاث ذات أدراج ...

وسجادة صغيرة ...

هذا بالإضافة لبعض الملابس ، التى ألقيت فى إهمال ، على المقاعد والفراش ...

ورف لكتب قديمة ...

و ...

صرخت بكل دهشتى :

ـ مستحيل !

سألنى (عدنان) فى برود :

ـ ما المستحيل بالضبط ؟!

هتفت ، وأنا أشير إلى تلك الحجرة :

ـ هذه الحجرة كانت خالية تمامًا أمس .

عاد يرفع حاجبيه فى دهشة مستنكرة ، وهو يقول :

ـ خالية ؟!... أأنت واثق من أنه لم يكن حلمًا .

انعقد حاجباى فى غضب ، وأنا أهتف به :

ـ لماذا تفعل هذا بالضبط ؟!

سألنى فى هدوء :

ـ أفعل ماذا بالضبط ؟!

صرخت فيه :

ـ لماذا تحاول إرباكى إلى هذا الحد ؟!

بدا باردًا إلى حد مستفز ، وهو يقول :

ـ ولماذا أحاول هذا ؟!

فجأة ، ومع سؤاله ، قفزت فكرة عجيبة إلى رأسى ...

فكرة لست أدرى لماذا لم تخطر ببالى من قبل !!...

فكرة جعلتنى أصرخ فيه ، بكل ما فى نفسى من انفلات :

ـ للاستيلاء على ميراثى .

بدت عليه دهشة عجيبة ، ممتزجة بلمحة ساخرة ، وهو يقول :

ـ أهذا ما تتصوره؟!

واصلت صراخى ، قائلاً :

ــ نعم ... إنك ، ومنذ قدومى إلى هنا ، تحاول إثارة الخوف فى نفسى من المكان ، وإثارة ارتباكى وحيرتى مما يحدث فيه ؛ فى محاولة لدفعى إلى الفرار منه ، أو التخلى عنه ؛ لكى تفوز أنت به ، وربما بما يحويه .

تصاعدت السخرية ، فى ملامحه وصوته ، وهو يقول :

ــ يا له من خيال جامح !...

صرخت كطفل عنيد :

ــ ليس خيالاً ، بل هو حقيقة ... هل يمكنك أن تفسر لى اختفاءك العجيب أمس ؟!... أو مراوغتك بشأن فتح الحجرتين المغلقتين ؟!... ثم أين وصية جدى ، التى نص فيها على أنك ينبغى أن تدير المنزل من بعده ؟!... أين ؟!...

ظل يرمقنى بنظرة عجيبة ، من خلف عينيه الضيقتين ، قبل أن يتجه نحو الحجرة ، التى أقف ببابها ، وهو يقول فى بطء :

ــ سيدهشك أنه لدىَّ إجابات واضحة لكل هذا .

تجاوزنى إلى داخل الحجرة ، واتجه إلى قطعة الأثاث ذات الأدراج ، وهو يقول :

ــ انظر هنا .

كان يشير إلى قطعة الأثاث ، فترددت قليلاً ، ثم اتجهت إليه ، وألقيت نظرة على سطح قطعة الأثاث فى حذر ...

كانت هناك طبقة رفيعة من الغبار ، تغطى سطحها ، على نحو يوحى بأنها هناك منذ زمن ليس بالقصير ...

وفى توتر ، غمغمت :

ــ من يدرى ؟!... ربما ...

قبل أن أتم عبارتى ، رفع (عدنان) قطعة الأثاث عن الأرض ، وأزاحها قليلاً ، ثم أشار إلى الموضع ، الذى كانت فيه ...

ولم أملك جوابًا فى الواقع ...

فقد كان توزيع الغبار ، الذى ترك أثرًا واضحًا ، خاليًا منه ، فى الموضع الذى كانت تحتله قطعة الأثاث ، قبل أن يزيحها (عدنان) ، دليلاً آخر على أنها كانت هنا منذ زمن ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وشعرت بذاتى تكاد تنفجر ، من فرط التوتر ...

فما أراه أمامى مستحيل !!...

ألف مرة !!!...

لقد فتحت هذه الحجرة بنفسى أمس ، وكانت خالية تمامًا ....

ولم يكن هذا وهمًا ...

أو حلمًا ....

أو خيالاً ...

ولكن ما أراه أمامى الآن أيضًا ليس وهمًا أو حلمًا أو خيالاً ...

فكيف ؟!...

كيف ؟!...

وقفت أحدق فى موضع الغبار كالأبله ، و(عدنان) يقول ، فى لهجة واضحة السخرية :

ــ هذا الدليل الأول فحسب .

سألته فى عصبية :

ــ أهناك أدلة أخرى ؟!

أشار بيده ، قائلاً :

ــ بالتأكيد .

وفى هدوء ، أخرج من جيب سترته القديمة مظروفًا ، من ورق سميك ، لست أظنه لا يزال مستخدمًا ، فى زمننا هذا ، وناولنى إياه ، وهو يقول فى هدوء :

ــ وصية جدك .

بدت علىَّ دهشة واضحة ، وأنا أمد يدى لألتقط المظروف فى حذر ، وكأننى أخشى أن تلوثه أصابعى ...

وبأصابع مرتجفة ، فضضت المظروف ، لأخرج منه ورقة من ذلك النوع البائد الثقيل نفسه ، بدت كأنها مكتوبة بريشة حبر قديمة ...

ورقة بها كلمات قليلة مختصرة ، تمنحنى ميراث المنزل وكل ما فيه ، مع شرط أن يبقى (عدنان) مديرًا له مدى حياته ...

وفى توتر ، قلت :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ ومن أدرانى أنها وصية جدى بالفعل ؟!... لماذا لا تكون أنت كتبتها ؟!... إنها لا تحمل أية أختام ، أو توقيعات رسمية ، ولا يوجد شهود عليها أيضًا .

أجابنى فى هدوء :

ــ إنها نسخة تركها جدك لك ، وهناك أخرى تم توثيقها فى بيت العدل ، ويمكنك الرجوع إليها لو أردت .

طويت الورقة ، وأعدتها إلى المظروف القديم ، ودسستها فى جيبى ، وأنا أقول فى توتر ملحوظ :

ــ هذا لا يعد دليلاً ، بالنسبة لى .

دس يده فى جيبه مرة أخرى ، وأخرجها وهو يقول :

ــ وماذا عن هذين ؟!

فى هذه المرة ، ارتفع حاجباى فى شدة ...

فما أخرجه من جيبه كان حقًا عجيبًا ... للغــاية .

* * *

4 ــ المفاجأة ..

لدقيقة كاملة أو يزيد ، لم أنبس ببنت شفة ، وأنا أقف أمام (عدنان) ، محدقًا فى ذلك الشىء العجيب ، الذى أخرجه من جيبه ...

مفتاحان من الكريستال ، لهما تكوين مفاتيح الأبواب القديمة ... مع فارق مدهش ...

كانا يتألقان ببريق عجيب ، يبدو كأنه ينبعث من داخلهما ...

ولقد انعقد لسانى لمرآهما طويلاً ، قبل أن أتساءل :

ــ ما هذا بالضبط ؟!

أجابنى (عدنان) فى هدوء :

ــ مفتاحا الحجرتين المغلقتين .

إجابته جعلتنى أعاود التحديق فى المفتاحين لحظات ، قبل أن أقول بكل الدهشة :

ــ مستحيل !!

Looloo
www.dvd4arab.com

سألنى ، ولهجته تحمل رنة ، بدت لى ساخرة :

ــ ولماذا ؟!..

أجبته فى توتر :

ــ البابان ثقيلان للغاية ، والمفتاحان من الكريستال ، و ...

قاطعنى ، مغادرًا الحجرة :

ــ ولم لا تختبرهما بنفسك ؟!

لحقت به على السلم ، وأنا أقول ، فى توتر أكثر :

ــ سينكسران ، فور إدارتهما فى الرتاج .

قال ، وهو يواصل صعوده ، دون أن يلتفت إلىّ :

ــ لن يفعلا .

بلغنا معًا الطابق الثانى ، وتوقفنا أمام البابين المغلقين ، فناولنى أحد المفتاحين ، وهو يشير إلى أحد البابين ، قائلاً :

ــ هيا .

التقطت المفتاح فى حذر ، وترددت لحظة ، قبل أن أدسه فى الثقب الخاص به فى الباب ، ثم توقفت لأنظر إلى (عدنان) مرة أخرى ، فقال فى حزم :

ــ أدره .

ترددت لحظة أخرى ، ثم حسمت أمرى ...

وأدرت المفتاح ...

ولدهشتى الكبرى ، دار المفتاح فى سهولة ، وسمعت صوت الرتاج ينفتح ، قبل أن يتحرك الباب فى هدوء ، دون حتى أن أفتحه ...

وتراجعت كالمصعوق ...

كانت الحجرة التى بدت أمامى مخيفة ...

مخيفة بكل ما تحمله من معان ...

لم يكن بها حقًا ما يخيف ...

بل لم يكن بها أى شىء ...

على الإطلاق ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وعلى الرغم من هذا ، فقد كانت مخيفة ...

مخيفة ...

مخيفة ...

هذا لأنها كانت حجرة سوداء ...

حجرة خالية ...

بلا أثاث ...

أو نوافذ ...

وكل شىء فيها أسود ...

الجدران ....

والسقف ...

وحتى الأرضية ...

كانت أشبه بكتلة مخيفة من السواد ...

وبكل توتر الدنيا ، هتفت :

ـ ما هذا بالضبط ؟!

أجابنى بكل هدوء :

ـ جدك له مزاج خاص .... خاص جدًّا .

هتفت منزعجًا :

ـ أى مزاج هذا ؟!

أجاب بنفس الهدوء ، وإن امتزج هذه المرة بلمحته الساخرة المستفزة :

ـ مزاج جدك .

تطلعت إليه لحظات فى غضب ، ثم تراجعت ، وأنا أغلق باب الحجرة السوداء ، ثم اتجهت إلى الباب الآخر ، وأنا أقول فى عصبية :

ـ وماذا عن الحجرة الأخرى ؟!

لم يجب سؤالى ، وإنما ناولنى المفتاح الثانى ، فترددت كثيرًا ، وأنا أتطلع إليه فى راحته ، فقال فى برود ، وبلهجة لمحت فيها نبرة آمرة :

ـ خـــذه .

Looloo
www.dvd4arab.com

التقطت المفتاح من يده ، فى حركة عصبية ، واستدرت أدسه فى ثقب الباب فى حزم ، ولكننى ترددت مرة أخرى ، وأنا أتساءل عما يمكن أن أجده فيها ، حتى سمعته يقول من خلفى :

ـ هل تخشى أن تفتحه ؟!

أغضبتنى عبارته ، فأدرت المفتاح فى الباب ، وشعرت بالباب ينفتح ، دون حتى أن ألمسه ...

وعلى الرغم من أننى كنت أتوقع أمرًا عجيبًا ، إلا أننى ، وعلى الرغم منى ، تراجعت فى حركة حادة عنيفة ، وأنا أطلق شهقة مكتومة ...

الحجرة كانت أيضًا خالية تمامًا ...

ولكنها لم تكن سوداء ...

كانت قرمزية داكنة ...

بلون الدم ...

تمامًا كما لو أنها قد طليت بالدم ...

دم البشر ...

وعلى الرغم منى ، هتفت :

ـ يا للبشاعة !

رأيت (عدنان) يبتسم ابتسامته المستفزة ، وهو يقول بهدوئه الأكثر استفزازًا :

ـ مزاج جدك .

استدرت إليه بحركة حادة ، وأمسكت معصمه فى قوة مفاجئة ، وأنا أقول فى صرامة شديدة العصبية :

ـ مهلاً .

وفى هذه المرة أيضًا ، انتفض جسدى فى عنف مع ملمسه ...

لقد أمسكت معصمه فى قوة ...

وتلامست أصابعى ...

لم يكن معصمه شديد النحول فحسب ...

بل كان مثل كتفه تمامًا ...

بلا عظـــام ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى ذعر ، تراجعت ، وارتطمت على الرغم منى بباب حجرة الدم ، فاندفعت مبتعدًا فى اشمئزاز ، وأنا أصرخ فيه :

ــ ما أنت بالضبط ؟!

رأيت شبح تلك الابتسامة المستفزة على شفتيه ، وهو يسحب معصمه ، قائلاً بنفس الهدوء :

ــ بشرى مثلك ، ولكننى مصاب بمرض وراثى نادر ، يجعل عظامى لينة للغاية .

حدقت فيه لحظات غير مصدق ، قبل أن أهتف :

ــ مستحيل !... لو أن عظامك بهذه الليونة ، لما أمكن لساقك أن تحملانك !

صمت لحظات ، قبل أن يقول :

ــ هذا صحيح .

ثم رفع سرواله عن أحد ساقيه ، وهو يضيف :

ــ لذا فأنا أرتدى هذا دومًا .

حدقت فى الجهاز الذى يحيط بساقه ، والذى يشبه تلك الأجهزة الطبية ، التى يستخدمها ذوى الإعاقة ، وغمغمت فى توتر :

ــ هذا تفسير منطقى .

أعاد إنزال سرواله ، وهو يقول :

ــ والآن ، ماذا أردت أن تقول .

تذكرت ما أردت قوله ، عنـدما أمسكت يـده ، فاستعدت صرامتى ، وأنا أقول :

ــ لماذا تتحدث عن جـدى بصيغة الحاضر ، وليس بصيغة الغائب .

أجابنى فى سرعة :

ــ لأنه حاضر .

تراجعت فى دهشة ، فاستدرك ، وهو يشير إلى رأسه :

ــ فى رأسى على الأقل .

حدقت فيه لحظات فى شك ، ثم لم ألبث أن قررت طرح هذا الأمر عن ذهنى مؤقتًا ، وأنا أغلق الباب الثانى ، قائلاً :

ــ يبدو أنه هناك الكثير ، مما أود معرفته عن جدى .

ثم انعقد حاجباى ، وأنا أضيف فى صرامة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ وعن هذا المنزل .

اعتدل ، وهو يقول فى برود :

ــ سل ما بدا لك .

تذكرت حقيبة المصابيح ، وأنا أشير إلى السقف ، قائلاً :

ــ لماذا هذه الإضاءة شديدة الخفوت ؟!

كرر تلك العبارة المستفزة :

ــ مزاج جدك .

قلت فى حدة :

ــ وهل كان مزاجه سوداويًا إلى هذا الحد ؟!

هز كتفيه اللينين ، وقال :

ــ من وجهة نظرك ؟!

قلت فى حدة أكثر :

ــ يبدو أنك تشاركه مزاجه هذا !

أجاب فى حزم :

ــ بالتأكيد .

استعدت صرامتى ، وأنا أقول :

ــ ولكن مزاجى يختلف .

غمغم :

ــ هذا واضح .

قلت بنفس الصرامة :

ــ ولأن مزاجى مختلف ... ولأننى المالك الحالى لهذا المنزل ، فكل شىء فيه سيتغير ؛ ليناسب مزاجى أنا .

وقف يتطلع إلىّ لحظات فى صمت بارد ، قبل أن يقول :

ــ يمكنك أن تحاول .

صرخت فيه :

ــ لا تكرر هذه العبارة مرة أخرى .

ابتسم تلك الابتسامة الشبحية الساخرة ، وهو يكرر فى عناد :

ــ يمكنك أن تحاول .

Looloo
www.dvd4arab.com

قالها ، واستدار منصرفًا ، على نحو استفز كل مشاعرى ، فصرخت فيه ، وهو يهبط فى درجات السلم :

ــ وسأبدأ باستبدال تلك المصابيح الضعيفة ... وفورًا .

لم يجب صراخى هذه المرة ، وهو يصل إلى الطابق الأرضى ، ويختفى فى حجرته ، فاندفعت إلى حيث حقيبة المصابيح ، والتقطت منه مصباحًا بقوة مائتى وات ، وجذبت مقعدًا كبيرًا ، أسفل أحد مصابيح الصالة ، واستخدمت منديلى لأحل المصباح القديم من مكانه ، ثم وضعت المصباح القوى بدلاً منه ...

وأضأت المصباح ...

وفى هذه المرة ، قفزت دهشتى إلى الذروة ...

ودفعة واحدة .

* * *

5 ـ صـدمـة ..

هذا المنزل يكاد يصيبنى بجنون مطبق ...

لقد اختبرت تلك المصابيح بنفسى مرتين ، فى المتجر الذى ابتعتها منه ، وكانت فى كل مرة قوية ، نبهرة ...

حتى فى وضح النهار ...

أما هنا ، فهى ليست كذلك ...

على الإطلاق ...

فى كل مكان ، استبدل فيه المصابيح ، يفاجئنى نفس الضوء شديد الخفوت !!...

حاولت ...

وحاولت ...

وحاولت ...

وفى كل مرة ، وكل مكان ، احصل على النتيجة نفسها ...

www.dvd4arab.com

ضوء مستفز ، شديد الخفوت ، أصابنى بحالة عصبية ، جعلتنى أصرخ فى (عدنان) :

ــ ماذا أصاب مصابيح هذا المنزل المجنون ؟! .

أجابنى فى برود ، وكأنه يتعمد أن يستفزنى :

ــ هكذا إرادة جدك .

التفت إليه بنظرة نارية ، فأشاح بوجهه ، ربما ليخفى ابتسامة مقيتة ، وهو يضيف :

ــ وهكذا سيبقى .

صحت به فى تحد :

ــ المنزل سيكون كما أريده أنا ، حتى لو اضطررت إلى إحضار فنى خاص من (سوريا) ؛ لاستبدال شبكة الكهرباء كلها .

كرر تلك العبارة ، التى استفزتنى دومًا :

ــ يمكنك أن تحاول .

ودون أن أدرى ، وجدت نفسى أقفز من مكانى ، وقد أفقدنى الغضب صوابى ، مع أعصابى الثائرة ، وانقض عليه فى عنف ، أدهشنى أنا شخصيًّا ...

ولكن الذى أدهشنى أكثر ، هو ما حدث بعدها ...

فالمفترض أن (عدنان) هذا يعانى من مرونة عظام شديدة ، وعلى الرغم من هذا ، فعندما ارتطمت به ، شعرت كأننى أرتطم بجدار من صخر ...

وكانت الصدمة قوية ، أشعرتنى بآلام فى كل عظمة فى جسدى ، وجعلتنى أرتد عنه ، وأسقط على مسافة مترين منه ...

أما هو ، فلم يهتز بمقدار أنملة ...

فقط أدار عينيه إلىّ ، وقال فى لهجة عجيبة ، تجمع بين الصرامة والسخرية والشماتة :

ــ لم يكن هذا تصرفًا متحضرًا .

تراجعت زاحفًا ، وأنا أحدق فيه فى رعب ، تملكنى لأول مرة ...

ما هذا الرجل بالضبط ؟!...

بل ما هذا الشىء ؟!...

أيعانى من مرونة عظام ، أم صلابة جسد ؟!...

أهو بشر مثلنا ، أم ... ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

قبل حتى أن يكتمل الجواب فى ذهنى ، وجدت نفسى أهتف بلا وعى :

ــ اخرج .

استدار بجسده كله نحوى ، وتطلع إلىّ فى تحد ، فصرخت بكل انفعالى :

ــ اخرج ... لا أريدك فى هذا المنزل لحظة واحدة .

ظل واقفًا مكانه ، يرمقنى بنظرة مخيفة ، قبل أن يقول فى بطء وصرامة :

ــ وصية جدك تمنعك من إخراجى .

صرخت بقوة أكبر :

ــ غادر المنزل أو أقتلك .

تألقت تلك الضحكة الساخرة فى عينيه ، وإن لم تنتقل لمحة منها إلى ملامحه ، وهو يقول بكل غلظة :

ــ يمكنك أن تحاول .

نطقها ، ثم استدار ، واتجه نحو حجرته الصغيرة فى هدوء ، وانا أصرخ من خلفه ، بكل عصبيتى :

ــ أقسم أن أقتلك إن لم تفعل .... أقسم .

شاهدته يفتح باب حجرته الصغيرة ، ويدخل الحجرة ، التى بدا أثاثها القديم واضحًا ، أشبه بصورة كئيبة موروثة ، ثم أغلق الباب خلفه ، وسمعت صوت رتاجه ينزلق ، فقفزت من مكانى ، وأنا أواصل صراخى :

ــ لا يمكنك أن تتحدانى ... أنا مالك المنزل الحالى ، ومن حقى أن ....

كنت أندفع نحو حجرته الصغيرة وأنا أصرخ ، وفتحت بابها بحركة حادة ، مع الجزء الأول من آخر العبارة السابقة ، و ...

وانتفض جسدى كله فى عنف ...

وفى كيانى ، وليس فى جسدى وحده ، سرت قشعريرة باردة كالثلج ...

أو أشد برودة منه ...

ولست أدرى كم اتسعت عيناى ، ولكننى أتصورهما قد التهما وجهى كله ، من شدة اتساعهما ، وأنا أحدق فيما أمامى ...

ولست أدرى حتى ، هل تكفى كلمة الذهول ، أم أنها غير كافية لوصف ما أصابنى ...

Looloo www.dvd4arab.com

فقد كانت الحجرة التى أمامى ، والتى شاهدت أثاثها القديم بنفسى ، عبر بابها المفتوح ، منذ ثوان قليلة ، تمامًا كما رأيتها فى المرة الأولى ...

خالية ...

تمامًا ...

فقط جدران وسقف وأرضية ..

بلا نوافذ ...

أو أثاث ...

أو حتى (عدنان) ..

وبلا وعى أيضًا ، وجدت نفسى أصرخ :

ـ مستحيل !.... مستحيل !...

وتراجعت فى رعب بلا حدود ...

وشعرت أننى قد ارتطمت بشىء ما ...

واختل توازنى ...

وسقطت ...

لم يبد لى أننى أسقط أرضًا ، بل فى بئر عميقة ....

عميقة ...

عميقة ...

وبلا قرار ...

ومن بعيد ، سمعت صوت جدى ينادينى باسمى ...

وكان الصوت يأتى من أعماق البئر ...

و ...

فجأة ، استيقظت ...

« هل غفوت قليلاً ؟!... »

ألقى علىّ (عدنان) السؤال ، وهو منحن فوقى ، فانتفض جسدى فى عنف ، وصرخت :

ـ أنت ؟!

تراجع فى شىء من الدهشة ، وهو يقول :

ـ نعم ... هو أنا !..

Looloo
www.dvd4arab.com

حدقت فى وجهه ، بنظـرة تجمع بين الدهشـة والخوف والاستنكار ، استقبلها هو فى هدوء مستفز ، وهو يشير إلى شىء ما أمامى ، متسائلاً :

ــ هل أنهيت فطورك ؟!

حدقت فيه مرة أخرى ، مستنكرًا عبارته ، ثم انتبهت فجأة إلى أننى أجلس فى الطابق السفلى من المنزل ، وأمامى صينية طعام صغيرة ، عليها بقايا رغيف من الخبز ، وقشر بيضة مسلوقة ، وبقايا لبنة فى طبق صغير ...

وفى هدوء مستفز ، رفع هو صينية الطعام ، وهو يقول :

ــ جدك كان يرى دومًا ، أن الإفطار هو أهم وجبات اليوم .

هتفت به :

ــ من أين جئت ؟!

أجاب ، دون أن يلتفت إلىّ :

ــ أنا هنا طوال الوقت .

شعرت بقوة أننى قد مررت بهذا الموقف من قبل ...

نفس الكلمات !..

نفس السؤال !!...

ونفس الجواب !!!..

شعرت بحيرة شديدة ، وأنا أنتزع نفسى عنوة ، من المقعد الذى أجلس عليه ، وقلت فى عصبية :

ــ سأستبدل كل هذه المصابيح ... إننى أبغض هذا الضوء الخافت .

لم أكد أنطقها ، حتى أيقنت من أنى أكرر شيئًا فعلته من قبل ، وخاصة عندما أشاح هو بوجهه ، وكرر عبارته الاستفزازية :

ــ يمكنك أن تحاول .

ضاعف هذا من عصبيتى وتوترى ، فقلت وأنا أتلفت حولى :

ــ أين حقيبة المصابيح ؟!

توقف ليلتفت إلىّ ، متسائلاً :

ــ أية مصابيح ؟!

قلت فى حـــدة :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ تلك التى ابتعتها مــن البلــدة ؛ لاستبدال هذه المصابيح القديمة .

بدت دهشة حقيقية على وجهه ، وهو يحدق فى وجهى ، قائلاً :

ــ من البلدة ؟!

نطقها فى استنكار شديد ، قبل أن يضيف فى حذر وتفكير :

ــ ولكننى لست أذكر أننا قد توقفنا لشراء شىء ، عندما مررنا بها !..

قلت فى حدة أكثر :

ــ أنت تعلم أننى قد ذهبت وحدى بالسيارة ، و ...

قاطعنى فى دهشة أكبر ، بدت لى طبيعية وحقيقية للغاية :

ــ وحدك ؟!... كيف ؟!...

سرى الغضب والانفعال فى كيانى ، وأنا أجيب :

ــ أنت تعلم كيف .... لقد أعطيتنى مفتاح السيارة ، و ...

قاطعنى مرة أخرى :

ــ مهلاً ... أنا لم أعطك مفاتيح السيارة ، ولا يمكننى أن أفعل ، فأنا وحدى أعرف أسلوب قيادتها .

صحت فيه :

ــ ولكننى قدتها بالفعــل إلى البلدة ، وسكانها شــهود على هذا ... لقد ابتعت المصابيح من متجر صغير ، يمكننى أن أصف لك عنوانه بمنتهى الدقة .

أشار بيده ، قائلاً فى قلق :

ــ أكان حلمك واضحًا إلى هذا الحد ؟!

صرخت ، وقد استنفدت الأحداث أعصابى :

ــ لم يكن حلمًا ... لماذا تفعل هذا بى ؟!

هز كتفيه العجوزين ، وهو يقول :

ــ لست أحاول أن أفعل شيئًا ، وها هى مفاتيح السيارة ... أرنى كيف ستقودها .

اختطفت المفاتيح من يده اختطافًا ، واندفعت خارج المنزل ، إلى حيث تقف السيارة ، ودفعت جسدى داخلها ، و...

Looloo
www.dvd4arab.com

وتوقفت ...

ليست هذه هى السيارة نفسها ، التى قدتها إلى البلدة أمس ...

إنها تبدو كنسخة طبق الأصل منها ...

ولكنها ليست هى حتمًا ...

التابلوه يختلف تمامًا ...

بل كل شىء فى آليات القيادة يختلف ..

عصا السرعة متصلة بعجلة القيادة ، وليست مزروعة بين المقعدين الأماميين ...

والمفتاح فى المنتصف ، وليس إلى اليمين ...

حتى المذياع ، يبدو أكبر حجمًا ...

« أين السيارة ، التى أحضرتنى بها من المطار ؟!... »

هتفت بالسؤال فى عصبية ، فأجابنى (عدنان) فى بطء ، وكأنه يحاول تهدئة طفل صغير :

ــ أنت تجلس داخلها .

قلت فى ذروة العصبية :

ــ كلا ... ليست هذه هى السيارة ، التى ذهبت بها إلى البلدة صباح أمس .

مال نحوى ، وهو يقول فى بطء :

ــ من المستحيل أن تكون قد ذهبت إلى البلدة صباح أمس ، لا فى تلك السيارة ، ولا فى غيرها .

صحت به :

ــ ولماذا مستحيل ؟!..

مال علىّ أكثر ، بأنفاسه الكريهة ، وهو يجيب :

ــ لأن طائرتك القادمة من (القاهرة) ، هبطت فى مطار (بيروت) ظهر الأمس فحسب .

وكان جوابه صدمة قوية ، جعلت رأسى يدور مرة أخرى ...

وبمنتهى العنف .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

6 ـ كابـوس ..

« عن أية مصابيح تتحدث يا أستاذ ؟!.. »

حدق صاحب متجر الأدوات الكهربائية ، فى تلك البلدة الصغيرة ، فى وجهى بدهشة حقيقية ، عندما سألته عن المصابيح ، التى ابتعتها منه بالأمس ، وهز رأسه فى حيرة واضحة ، وهو يردف :

ـ إنها أول مرة أراك هنا .

زادت عبارته من عصبيتى ، وأنا أقول :

ـ ألا تذكرنى يا رجل ... لقـد ابتعت منك تلك المصابيح أمس ، و ...

قاطعنى فى ضيق :

ـ البلدة صغيرة يا أستاذ ، ومبيعاتنا ليست كبيرة ، حتى أنسى غريبًا ابتاع ذلك القدر الذى تذكره من المصابيح .

ومال نحوى بشاربه الكبير ، متسائلاً :

ـ ثم أين تلك المصابيح ؟!

وهنا جاء دورى لأحدق فى وجهه فى صمت ...

فأنا لم أعثر على تلك المصابيح قط ، منذ استيقظت فى منزل جدى ...

حتى ذلك المصباح ، الذى غيرته بنفسى ، لم يكن له وجود ...

ومن المستحيل أن يكون كل ما مررت به حلمًا !!...

مستحيل !!...

وألف مستحيل !!...

الأحلام لا تكون أبدًا بهذا الوضوح ...

ولا بكل تلك التفاصيل ...

أبـــدًا ...

« ما تاريخ اليوم يا هذا ؟!... »

ألقيت السؤال فجأة على صاحب المتجر ، فالتفت يشير إلى نتيجة حائط ، ذات أرقام كبيرة ، معلقة على جدار متجره ...

وخفق قلبى فى عنف ...

هذا أيضًا مستحيل !...

Looloo
www.dvd4arab.com

التاريخ يقول : إن طائرتى قد وصلت إلى (بيروت) أمس فقط !!...

وهذا يعنى أن كل ما مررت به لم يكن حقيقة ...

كل ما رأيته ...

وسمعته ...

وخبرته ...

وشعرت به ...

كل هذا لم يكن حقيقة ...

مستحيل !...

شعرت برأسى يدور بعنف حقيقى ، حتى إننى كدت أسقط أرضًا ، فأسرع صاحب المتجر يمسك يدى ، وهو يقول :

ــ هل أحضر لك مقعدًا يا أستاذ ؟!

لوحت بيدى ، قائلاً :

ــ كلا ... إنه مجرد دوار بسيط .

سألنى فى اهتمام :

ــ هل تناولت طعام إفطارك ؟

أومأت برأسى إيجابًا ، وتحاملت على نفسى ، حتى عدت إلى السيارة القديمة ، التى يتعامل معها الكل فى البلدة ، وكأنها كائن من عالم آخر ، وقررت العودة إلى المنزل ...

لم أستطع قط فهم ما يحدث ..

الرجل الآخر ، الذى روى لى كل شىء ، فى المقهى الصغير ، أذكر ملامحه جيدًا ، وأسلوبه فى الحديث ، وحتى اسمه ، وعلى الرغم من هذا فهو لا يذكر أنه قد التقى بى ، أو تحدث معى! !!...

ومن المستحيل أن يكون كل هذا حلمًا! ...

لن أذكر ملامح وصوت ومكان الرجل بهذه الدقة ، فى حلم عادى !...

هناك شىء ما ...

شىء لا أفهمه ...

ولا أستطيع فهمه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

حيرتى جعلتنى أقود تلك السيارة القديمة فى بطء ، متأملاً ذلك المشـــهد ، للمنطقـــة الفاصلة بين الحـــدود السورية اللبنانية ، وتساءلت : لماذا اختار جدى هذه البقعة بالتحديد ؛ ليشيد فيها منزله هذا ؟!...

أم إنه ورثه عن أجداده ، كما قالت الروايات ؟!..

هذا لو أنها قيلت بالفعل ...

ولم تكن حلمًا ...

أو وهمًا ...

أخرجت هاتفى المحمول من جيبى ، محاولاً معرفة التاريخ الحقيقى عليه ...

لم يكن يلتقط أية إشارات ، لأية شبكة ، منذ قدومى إلى هذه البلدة ، ولكن برامجه كانت تواصل عملها ، وتشير فى وضوح إلى أن الجميع على حق ...

لقد وصلت بالأمس فقط !! ..

فكيف يحمل رأسى كل هذه الذكريات ؟!...

وماذا عن كل ما رأيته ؟!...

ماذا عـــن الحجرتين المغلقتين ، والمفتاحين المصنوعين من الكريستال العجيب ؟!...

أهما حقيقة ؟!...

أم جزء من الحلم ؟!...

أو من الكابوس ؟!...

واصلت القيادة فى بطء ، حتى وصلت إلى منزل جدى ، على قمة الجبل ، ومن هناك بدت لى الصورة عجيبة ...

كان المنزل يطل على مساحة هائلة من الدولتين ...

(سوريا) و(لبنان) ...

تمامًا كما لو كان مركز مراقبة مثالى ...

وعندما وصلت ، كانت الشمس قـــد بلغت المغيب ، وكان المفترض أن يبدو لى مشهدها ، وهى تلقى أشعتها الأخيرة على الربوع الخضراء ، مشهدًا رومانسيًّا جميلاً ، يستحق تسجيله فى لوحة فنية ، أو صورة ضوئية ...

ولكننى ، وفى تلك اللحظة بالذات ، رأيته أشبه بمشهد مخيف ...

Looloo
www.dvd4arab.com

فمع زاوية غروب الشمس ، ألقى منزل جدى ظلالاً طويلة فى المكان ...

وكانت ظلالاً مفزعة ...

وإلى أقصى حد ...

فمن موضعى ، كان المنزل ، ببرجيه الصغيرين على جانبيه ، يلقى ظلاً أشبه برأس شيطان ، كما رآه خيال الأدباء عبر العصور ...

وجه طويل ، وقرنان قصيران على جانبيه ...

« هل عدت ؟!.. »

اخترق صوت (عدنان) أفكارى ، فوجدت نفسى أرتجف ، على الرغم منى ، وأستدير إليه فى حركة حادة ...

كان يقف فى ظل المنزل ، والشمس تغرب من خلاله ، مما جعله يبدو أشبه بشبح أسود نحيل مخيف ...

وفى توتر عصبى ، قلت :

ــ نعم ... عدت ... ولكننى لا أفهم .

تقدم نحوى ، وهو يسألنى فى هدوء :

ــ لا تفهم ماذا ؟!...

قلت فى عصبية :

ــ كل ما يحدث ... عقلى يحمل ذكريات يوم ضائع ... وهى ذكريات واضحة ، ودقيقة ، بها كل التفاصيل ، التى لا تجعل منها حلمًا أو وهمًا .

قال فى اهتمام حقيقى :

ــ ربما هى رؤية إذن .

رؤيا ؟!...

لم يخطر هذا الاحتمال فى ذهنى قط ...

ولم يكن من الممكن أن يخطر ...

ربما لأنه ليس هناك من سبب ؛ لتصور هذا ...

أو لأنه لم يحدث معى من قبل قط ....

ولقد أردت أن أقول هذا ، أو أن أستنكر ما قاله (عدنان) ، إلا أننى وجدت نفسى أتطلع إليه فى صمت فحسب ، دون أن أنطق حرفًا واحدًا ، فواصل هو تقدمه نحوى ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ جدك كانت تراوده رؤى عظيمة .

ثم مال نحوى ، حتى شممت رائحته الكريهة ، وهو يكمل فى حماس :

ــ وكانت كلها تتحقق .

أشحت بوجهى عن أنفاسه ، وأنا أسأله فى عصبية :

ــ هل عثرت على مفتاحى الحجرتين المغلقتين ؟!

اعتدل ، وهو يقول فى هدوء :

ــ لا توجد هنا حجرات مغلقة .

صحت فيه ، وقد انفلتت انفعالاتى :

ــ أنت تعلم أنه هناك حجرتين مغلقتين ، إلى جوار حجرة نومى تمامًا .

وقف يتطلع إلىّ لحظات فى صمت ، ولسان حاله يقــول : « يا للمسكين » ، قبل أن يشير إلىّ ، قائلاً :

ــ أرنى أياهما إذن .

اندفعت إلى داخل المنزل ، وصعدت فى درجات السلم عدوًا ، من فرط الانفعال ، ثم عدوت نحو حجرة نومى ، فى الطابق الثانى ، و ...

وفجأة ، توقفت بحركة حادة ، حتى إننى قد فقدت توازنى ، وسقطت أرضًا ، أمام باب الحجرة ، المجاورة لحجرتى ...

وكان هذ سبب سقوطى بالفعل ...

فإلى جوار حجرة نومى ، لم تكن هناك حجرتان مغلقتان ...

بل حجرة واحدة فحسب ...

ولم يكن هناك أى أثر لحجرة أخرى ...

على الإطلاق ...

حدقت فى الجدار ذاهلاً ، باحثًا عن أى أثر لتلك الحجرة الثانية ، حتى وجدت (عدنان) يمد يده إلىّ ؛ ليعاوننى على النهوض ، وهو يغمغم فى قلق :

ــ ماذا أصابك ؟!

تجاهلت يده الممدودة ، وأنا أتذكر طــراوة جسده ، المثيرة للتوتر ، وعاونت نفسى على النهوض ، وأنا أغمغم فى عصبية :

Looloo www.dvd4arab.com

ــ أين الحجرة الثانية :

حمل صوته دهشته ، وهو يقول :

ــ لم تكن هناك أبدًا حجرة ثانية ... هذا جناح جدك الخاص ، به حجرة نومه ، وحجرة مخطوطاته .

نهضت واقفًا ، وحدقت فى الحجرة لحظات ، ثم مددت يدى أدفع بابها فى حذر ، و ...

وبكل هدوء وسلاسة ، انفتح باب الحجرة ...

وبلغت دهشتى ذروتها ...

لقد كانت حجرة واسعة ، بها مكتبة تحتل كل جدرانها ، من الأرض إلى السقف ، وتشبه تمامًا تلك المكتبات ، التى كنت أراها فى أفلام السينما القديمة ، والتى بها سلم خشبى ، يدور حولها ؛ للوصول إلى الكتب فى الأرفف العالية ...

وكلها كانت تكتظ بالكتب والمخطوطات ...

كم هائل من الكتب والمخطوطات ، يستحيل نقلها إلى المكان ، خلال الفترة التى غبتها فى البلدة ...

ولم يحتمل رأسى كل هذه الصدمات ...

وبينما أشعر بدوار شديد ، غمغمت :

ــ ما يحدث هنا ليس طبيعيًا ... ليس طبيعيًا على الإطلاق .

سمعت صوت (عدنان) ، وكأنه يأتى من بئر سحيقة ، قائلاً فى قلق شديد :

ــ ماذا بك ؟!... هل ....

وبعدها لم أسمع شيئًا ...

ولم أشعر بأى شىء ...

أظننى قد فقدت الوعى على الأرجح ...

أو أنه قد أصابتنى حمى ما ...

فلقد شعرت وكأننى أطير على وسادة هوائية دافئة ، إلى داخل أسطوانة كبيرة مظلمة ، أضيئت بضوء أزرق باهت ، فور استقرارى داخلها ، ثم تحول ذلك الضوء إلى الأحمر الدموى ، و....

وفجأة ، استعدت وعيى ...

Looloo
www.dvd4arab.com

كنت أرقد على فراشى ، فى حجرة نوم جدى القديمة ، وكان الجو فى الخارج عاصفًا ، ببرق ورعد ومطر ...

ثم ، ومع سطوع البرق ، رأيت ذلك الشخص ، الذى يقف عند طرف فراشى ، متطلعًا إلىّ بنظرة صارمة ، أحفظها جيدًا منذ طفولتى ...

وانتفض جسدى ، كما لم ينتفض من قبل ...

فذلك الواقف ، عند طرف فراشى ، كان جدى ...

جدى الحبيب ...

الراحـــل .

* * *

7 ـ ســجين ...

إرهاق شديد ، ذلـــك الـــذى شعرت به ، منذ استيقظت هذا الصباح ...

إرهاق ، ربما لم أشعر بمثله ، فى حياتى كلها ...

فذلك الكابوس ، الذى هاجمنى أمس ، زلزل كيانى كله ...

كابوس رؤية جدى الراحل ، واقفًا إلى جوار فراشى ...

أو فراشه ، لو صح القول ...

والعجيب أننى ، فى كابوسى ، شاهدته فى وضوح ...

تمامًا مثلما كنت أشاهده طيلة حياتى ...

نفس الشارب الضخم ...

والملامح الصارمة القاسية ....

وتلك النظرة ...

نظرة قاسية مخيفـــة ، كانت دومًا تثيـــر رعبى ، منذ وعت عيناى الدنيا ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وفى الكابوس ، كان يرتدى نفس تلك الحلة النمطية القديمة ، التى كان يرتديها فى صورته ، التى أحفظها عن ظهر قلب ...

ولكن أعجب ما فى هذا الكابوس ، هو أننى لم أستيقظ بعده ، كما يحدث مع كل الكوابيس ...

رأيته فيه واقفًا ، يتطلع إلىّ فى صمت ، وضوء البرق ينعكس على وجهه المخيف ...

وانتفض جسدى كله ...

ثم غرقت فى نوم عميق ...

أعمق نوم حظيت به ، فى حياتى كلها ...

ومع أول ضوء من أضواء النهار ، استيقظت فجأة ...

كان الجو صحوًا ، بخلاف ما كان عليه فى الليلة الماضية ، والشمس مشرقة ، فى سماء خالية من السحب ...

وعلى ضوء الشمس ، الذى ملأ الحجرة ، بدت لى الأمور مختلفة تمامًا ، حتى إننى جلست على طرف فراشى ، اتطلع إلى الحجـــرة فى حيـــرة ، وكأننى أراها لأول مرة ، وأنا أشعر بهذا

الإرهاق ، الذى جعلنى أحتاج إلى ربع ساعة كاملة ، قبل أن أستطيع النهوض ، وارتداء ثيابى ...

وكالمعتاد ، كان (عدنان) قد أعد لى طعام الإفطار ...

بيضـــة مسلوقة ، وقليـــل مـــن اللبنـــة ، ورغيف صغير من الخبز ....

والعجيب أن رؤيته لم تستفزنى ، كما كان يحدث سابقًا ، كما لو أننى قد اعتدت وجوده ، وأسلوبه المستفز ...

وبينما أتناول إفطارى ، سألته :

ـ متى تحسن الطقس ؟!

نظر إلىّ فى دهشة ، وهو يقول :

ـ أنه على الحال نفسه منذ أمس .

أشرت بيدى ، قائلاً :

ـ وماذا عن الرعد والبرق والمطر أمس ؟!

توقف (عدنان) بغتة ، وتطلع إلىّ فى حيرة ، وهو يقول :

ـ أى رعد وبرق ومطر ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

شعرت بالتوتر ، وأنا أقول :

ــ ألم تشعر بكل هذا أمس ؟!

وعلى الرغم من عينيه شديدتى الضيق ، شعرت كأنه يتطلع إلىَّ بنظرة حائرة مشفقة ، قبل أن يقول :

ــ هل راودك حلم آخر أمس ؟!

انعقد حاجباى فى شدة ، دون أن أجيب ...

ما الذى يعنيه بسؤاله هذا ؟!...

هل كان ذلك الطقس الرهيب جزءًا من كابوسى ؟!...

ولكن كيف ؟!...

إننى لم أشاهد ، فى حياتى كلها ، كابوسًا بهذه الدقة !!...

تطلعت إلى (عدنان) فى صمت ، دون أن أجيب سؤاله ...

ماذا يحدث فى منزل جدى ؟!...

« أريد أن أزور قبر جدى .. »

لست أدرى حتى لماذا نطقت تلك العبارة فجأة ، ولكن تلك الدهشة العجيبة ، التى ارتسمت على وجه (عدنان) ، جعلتنى أضيف فى إصرار :

ــ واليوم بالتحديد .

تأملنى (عدنان) لحظات ، ثم قال :

ــ لماذا ؟!...

قلت فى حدة :

ــ ولماذا لا ؟!...

هز كتفيه ، مجيبًا :

ــ ربما لأننا هنا لم نعتد هذا .

سألته فى تحد :

ــ ألا يزور اللبنانيون قبور موتاهم ؟!

قال فى بطء :

ــ ربما يفعلون ، ولكننا لا نفعل .

سألته فى دهشة :

ــ أليس من المفترض أنكم منهم ؟!

هز رأسه فى بطء ، دون أن يرفع عينيه عن وجهى ، وهو يقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ إنهم لا يعتبروننا كذلك .

تصاعدت دهشتى ، وأنا أقول :

ــ ولماذا ؟!...

هز كتفيه اللينين ، وهو يجيب :

ــ يمكنك أن تسألهم .

قلت فى عناد :

ــ سأفعل .

خيل إلىّ أننى ألمح شبح ابتسامة على شفتيه ، فكررت فى حـدة :

ــ أريد أن أزور قبر جدى .

صمت لحظات ، ثم قال فى هدوء :

ــ إنك تجلس فوقه .

عبارته جعلتنى أثب من مقعدى ، فى حركة غريزية ، وأحدق فى الأرضية ، قائلاً فى انزعاج حقيقى :

ــ فوقه ؟!

حملت شفتاه ابتسامة ساخرة واضحة هذه المرة ، وهو يقول :

ــ ليس بالمعنى اللفظى .

حدقت فيه متسائلاً ، فأضاف :

ــ جدك لم يدفن ... لقد أوصى بحرق جثمانه ، ووضع رماده فى قبو المنزل .

ازداد تحديقى فى وجهه ، فأشار بيده إلى الأرضية ، قائلاً :

ــ هل ترغب فى رؤية رماده ؟!

قلت فى توتر :

ــ بالتأكيد .

صمت لحظات ، وكأنما يحسم أمرًا ما فى ذهنه ، ثم أشار إلىّ ، قائلاً :

ــ اتبعنى .

فوجئت به يتجه إلى حجرة المكتب الصغيرة ، فى الطابق الأرضى ، فلحقت به وكلى فضول يلتهم كيانى ، وعندما دخلنا حجرة المكتب ، لم أجد سوى المكتب القديم ، ومكتبة صغيرة خلفه ، ومقعدين أثريين أمام المكتب

Looloo
www.dvd4arab.com

وعندما رآنى أتلفت حولى ، قال فى لهجة شبه ساخرة :

ــ لا تتعجل .

اتجه مباشرة نحو المكتبة الصغيرة ، وجذب كتابًا قديمًا فيها ، و ...

وقفزت دهشتى مرة أخرى ...

فمع جذب الكتاب ، دارت المكتبة حول محورها فى بطء ، كاشفة مدخل سريًا خلفها ، ذكرنى بالأفلام الأسطورية القديمة ، فغمغمت فى توتر :

ــ أية أسرار أخرى ، يخفيها هذا المنزل ؟!

أجابنى فى هدوء مستفز كعادته ، وهو يعبر ذلك المدخل السرى :

ــ الكثير ...

لحقت به ، ووجدت أمامى درجات سلم دائرية ، تهبط إلى أسفل ، حيث ينبعث ضوء خافت ، وقال (عدنان) ، وهو يهبط فى درجات السلم القديمة :

ــ كن على حذر .

هبطت خلفه فى درجات السلم ، حتى بلغنا بابًا آخر ، يعلوه مصباح خافت ، هو مصدر الضوء الذى شاهدته ، وأمسك هو مقبض الباب ، ثم التفت إلىّ ، وهو يقول :

ــ استعد .

لم أدر ما الذى ينبغى أن أستعد له ، ولا كيف أفعل ، حتى أدار هو المقبض ، وفتح الباب ...

وانطلقت من حلقى شهقة كبيرة .....

فبعبور هذا الباب الأخير ، كنت كمن قفز فجأة ، من عالم إلى آخر ...

أو من زمن إلى آخر ...

لقد عبرته ، وكأننى أعبر آلة زمن ، من القرن الثامن عشر ، إلى القرن الثانى والعشرين دفعة واحدة ...

فعلى عكس المنزل كله ، كانت أمامى قاعة مضاءة بضوء ساطع قوى ، لم أتبين مصدره بالضبط ...

Looloo
www.dvd4arab.com

قاعة حديثة ، أو أنها حتى تسبق الزمن الذى أعيش فيه ...

كانت قاعة واسعة ، بمساحة المنزل كله تقريبًا ، جدرانها من مادة تشبه البلاستيك ، ذات لون أبيض ناصع ، يزيد من سطوع الضوء فى المكان ، وقـد تراصت فيها أجهزة حديثة ، ذات شاشات رقمية كبيرة ، تتصل كلها بمجموعة من أحدث أجهزة الكمبيوتر ، التى لم أر مثيلاً لها من قبل ...

وفى منتصف القاعة ، كانت هناك مائدة كبيرة ، أشبه بالموائد الجراحية ، يعلوها جسم مستدير ضخم ، تراصت فيه مجموعة من المصابيح الكبيرة ، وإلى جوار المائدة ، كانت هناك أخرى صغيرة ، استقر فوقها جهاز عجيب ، لم أفهم طبيعته بالضبط ...

وهنـــاك ، فى نهاية القـــاعة ، كان هنـــاك صندوق من زجاج سميك ، فى منتصفه وعـــاء زجاجى أنيـــق ، يحـــوى كمية من الرماد ...

رماد جدى على الأرجح ...

وقفت ذاهلاً مشدوهًا ، أديـــر عينىّ فى القـــاعة ، وسمعت (عدنان) يقول ، بذلك الهدوء ، الذى كاد يفقدنى أعصابى :

ــ جدك أوصى بعـــدم إطلاعك على قـــاعة أبحاثه الخاصة ، إلا عندما تطلب بنفسك زيارة قبره .

غمغمت بكل انفعالى :

ــ هل كان جدى جراحًا ؟!

أجابنى فى احترام واضح :

ــ جدك رجل عظيم .

التفت إليه ، أكرر فى عصبية :

ــ أكان جراحًا ؟!

قال فى فخر :

ــ جدك عالم وباحث ، يسبق زمانه بقرن من العلم على الأقل .

سألته ، وأنا أدير عينىّ مرة أخرى فى القاعة :

ــ وفيم كان يبحث بالضبط ؟!

أجاب بغموضه المعتاد :

ــ يبحث فى أمور شتى .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم اتجه إلى دولاب من زجاج ، حوى عددًا من الملفات وأسطوانات الكمبيوتر ، وهو يكمل :

ــ وستجد هنا كل التفاصيل .

حدقت فى ذلك الدولاب الزجاجى ، وقد انعقد لسانى ، من فرط الدهشة والمفاجأة والانفعال ، فى حين أضاف هو فى حزم :

ــ لكى تكمل أبحاثه .

انتفض جسدى ، وأنا أهتف فى دهشة مستنكرة :

ــ أنا ؟!

بدت لهجة شديدة الصرامة ، وهو يقول :

ــ هكذا أوصى جدك .

قلت فى حدة :

ــ فليوص كما يشاء ، ولكننى لست أدرى شيئًا عن مثل هذه الأمور !

أشار إلى الدولاب الزجاجى ، قائلاً بنفس الصرامة :

ــ هنا ستجد كل ما تريد .

حدقت فى الدولاب الزجاجى ، وأنا أقول :

ــ مستحيل !... هذا أمر يحتاج إلى دراسة طويلة ، وعلم كبير ، و ....

بترت عبارتى فجأة ، عندما سمعت صوت الباب من خلفى يغلق ، فالتفت إليه فى ذعر ، تضاعف عندما وجدت أن (عدنان) قد أغلق الباب بعد انصرافه ، فاندفعت نحو الباب ، وأنا أهتف :

ــ ماذا تفعل ؟!

ثم اتسعت عيناى فى ذعر أكثر ...

فباب المعمل ، المغلق فى إحكام ، لم تكن به وسيلة لفتحه من الداخل ...

وهذا يعنى أننى قد أصبحت سجينًا ...

سجين فى معمل منزل جدى ....

الحبيب .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

8 ـ الرمـــاد ...

بعـد خمس ساعات ، من الحبس الانفرادى الإجبارى ، فى معمل جدى ، صرت أجزم بأنه كان عبقرية ، سبقت زمانه بقرن على الأقل ....

ولكن قراءة أبحاثه أرعبتنى بعض الشىء ....

هذا لأن جدى كان يبحث فى ذلك الحلم ، الذى رواد مئات العلماء والكيمائيين ، عبر قرون وقرون ...

حلم إكسير الشباب ...

ذلك العقـار الأسطورى ، الذى يتناوله المرء ، فيبقى شابًا لقرون وقـرون ، دون أن تبلى خلاياه ، أو يصيبها التلف ، وتواجه أعراض الشيخوخة ...

ولست أدرى لماذا ذكرتنى أبحاثه برواية (مارى شيلى) الشهيرة (فرانكنشتاين) ، والتى لم أتقبلها كفكرة علمية أبدًا فى حداثتى وشبابى ؛ إذ إنها تتحدث عن إحياء جثث الموتى ، باستخدام الكهرباء ، التى كانت طاقة رهيبة إبان كشفها ، حتى إنها أثارت خيال العديدين ، فلم يتصوروا حدودًا لها ...

تمامًا كما فعلت الطاقة النووية بخيالنا بعدها ...

وكما ستفعل أية طاقة جديدة فيما بعد ...

ثم إن رواية (مارى شيلى) كانت تحمل من الفلسفة ، أكثر مما تحمل من الخيال ؛ إذ تتحدث ، من خلال إطار خيالى ، عن مسئولية الخالق عن المخلوق ، أو المبدع عن إبداعه ، أو حتى الأب عن أبنائه ...

أما أمامى ، عبر الملفات والوثائق ، التى تركها جدى ، فهو ـ نظريًا ـ واقع جديد ، يثير ألف خيال وخيال ...

لقد تعامل مع الأمر ، على نحو علمى تمامًا ...

درس لسنوات طويلة تلك التغيرات ، التى تصيب الخلية البشرية ، مع تقدم الإنسان فى العمر ، وتوصل ، منذ ما يقرب من نصـف القـرن ، إلى أن سر الشيخوخة ، هو تراكم سموم مؤكسدة ، على الغلاف الخارجى للخلية ، تمنعها من الاستفادة بالأكسجين ، الذى يضخه الدم ، فتهلك ، وتتداعى ، ويصعب تجديدها بالمقدار نفسه ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولقد سبق العلم الحديث بنصف قرن ، فى هذا المضمار ، إذ لم يتم كشف علاقة الأكسدة بضعف الخلية ، وظهور عوامل الشيخوخة على البشر وباقى الكائنات ، إلا فى السنوات الأخيرة فحسب(*) ...

وطـوال نصف القـرن التالى ، أجرى جدى الراحل آلاف التجارب ، التى تستهدف منع أكسدة الخلية ، أو إزالة الأكسدة عنها ...

كان يتعامل مع الأمر ، كما لو أنه صدأ ، تكون عبر السنين ، ووسائل تجاوز تأثيره ، تعتمد على منع تكونه ، أو إزالته بمزيل للصدأ ...

والعقار ، الذى ظل يعمل عليه طويلاً ، يمكن تشبيهه بمزيل الصدأ هذا ...

وثائقه وأوراقه حوت الكثير من المعلومات ، عن العقار الذى حاول ابتكاره ...

والقليل جدًا عن عينات البحث ، التى استخدمها ...

(*) حقيقـــة .

ففى كل أوراقه ووثائقه ، وحتى أسطواناته الرقمية ، لا توجد إشارة واحدة ، إلى من أجرى عليهم تجاربه ...

أو ما أجرى عليه تجاربه ...

أكانت حيوانات تجارب معملية معتادة ...

أم ...

توقف ذهنى فى خـوف حقيقى ، عنـدما بلغت كلمـة (أم) هذه ....

فماذا لو أنه كان يجرى تجاربه على البشر ؟!...

أمن الممكن أن تتجاوز معه الأمور ، إلى هذا الحد ؟!...

هل يمكن أن يكون هذا تفسير العبارة ، التى قالت : إن من يحضر إلى هذا المنزل ، لا يعود قط ؟!...

هذا لو أنها قيلت بحق !!...

عادت الأمور ترتبك فى ذهنى مرة أخرى ، وعاد ذلك الصداع العجيب يهاجم رأسى ، ويجعلنى راغبًا بشدة فى النوم ، فأرحت رأسى على سطح ذلك المكتب الصغير ، فى ركن المعمل ،

Looloo
www.dvd4arab.com

وتطلعت لحظات إلى الوعاء الأثرى الأنيق ، داخل ذلك الصندوق الزجاجى ، والذى يحوى رماد جدى الحبيب ، وغمغمت ، وأنا أسبل جفنى ، فى إرهاق عجيب :

ــ ماذا تريد منى يا جدى ؟!... بل ماذا تتوقع منى ؟!...

سمعت صوت رتاج باب المعمل يتحرك ، وصوت الباب يفتح ، إلا أننى لم أستطع حتى الالتفات إليه ...

وعلى الرغم من أن عقلى كان قد فقد معظم إدراكه فعليًا ، إلا أننى أكاد أقسم ، أننى قد سمعت شخصين يتحدثان ، قبل أن أسقط فى ظلام عميق ...

عميق ...

إلى أقصى حد ...

وفى هذا الظلام ، عاودنى كابوس مشابه للأول ...

كابوس رأيت فيــه جــدى ، يرتدى معطف معمله الأبيض ، ويحملنى مع (عدنان) إلى تلك المنضدة الجراحية ، فى منتصف معمله ...

وكان هناك دخان كثيف ، يخرج من ذلك الوعاء ، الذى يحوى رماده ...

دخان كثيف للغاية ...

وكان لذلك الدخان لون الدم ...

وفى كابوسى ، بدا جــدى أكثر قسوة ، مما يبدو عليه فى صورته ...

وعندما قيدنى ، بمعاونة (عدنان) ، على منضدة الجراحة ، صرخت :

ــ لا يا جدى ... لا تفعل بى هذا ...

وبكل قسوته ، أجاب :

ــ هذا لصالحك .

قالها فى كابوسى ، دون أى شعور أو انفعال ، حتى لقــد بدا كأنه شخص بلا حيــاة ... أو أننى رأيتــه فى كابوسى هكذا ؛ لأننى أعلم أنه فعليًا بلا حياة ...

وعلى الرغم من عبارته ، فقد واصلت صراخى ، وأخذت أصرخ ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وأصرخ ...

وأصرخ ...

« استيقظ .... إنه كابوس ... »

كان صـوت (عدنان) ، هـو الـذى أخرجنى من كابوسى ، أو انتزعنى منه انتزاعًا ، وهو يهزنى فى قوة ، هاتفًا بعبارته السابقة ، ففتحت عينىّ دفعة واحدة ، وحدقت فيه برعب حقيقى ، جعله يتراجع مغمغمًا :

ـ لم أقصد أن أفزعك ، ولكنك كنت تصرخ ، و ...

لم يحاول إتمام عبارته ، باعتبار أن نصفها الثانى واضحًا ، ولكننى انتبهت إلى أننى لسـت داخـل معمل جـدى ، وإنما فى حجرة نومه ، فهتفت فى عصبية :

ـ لماذا نقلتنى إلى هنا ؟!

تراجع فى دهشة ، مغمغمًا فى استنكار :

ـ نقلتك ؟!

لم أعد أحتمل هذا الأسلوب ، لذا فقد صحت به فى حدة :

ـ اسمع يا (عدنان) ... لقد سئمت هذه الألاعيب ... لقد غلبنى النوم ، من شدة الإرهاق ، فى معمل جدى ، و ...

قاطعنى بهتاف ، يحمل كل الدهشة والاستنكار :

ـ معمل جدك ؟!... أى معمل ؟!

كان هذا كفيلاً بأن تتفجر كل انفعالاتى ، لأصرخ فى ثورة :

ـ كفى ... هذا لم يعد يحتمل ... لقد قضيت خمس ساعات كاملة ، أقرأ وثائق جدى ، وأطالع أسطواناته الرقمية ، ومازلت أذكر كل ما جاء بها ، من أبحاث ونتائج ، حول إكسير الشباب ، وأذكر ، وبمنتهى الدقة ، تفاصيل كل ركن فى معمل جدى ، من أجهزة الكمبيوتر ، وحتى ذلك الوعاء ، الذى يحوى رماده ، مرورًا بالمنضدة الجراحية ، و ...

تلك النظرة الذاهلة ، التى حدق بها (عدنان) فى وجهى ، جعلتنى أبتر عبارتى دفعة واحدة ، وجعلت صوتى ينخفض فى يأس ، وأنا أقول فى عصبية :

ـ لا تقل لى : إن كل هذا لم يحدث .

ظل صامتًا ، يتطلع إلىّ لحظات ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغمًا :

Looloo
www.dvd4arab.com

ــ لن أقول شيئًا .

نطقها فى إشفاق ، جعل قلبى يرتجف بين ضلوعى ، فى انتظار الخطوة التالية ، فقلب هو كفيه ، مستطردًا :

ــ ولكننى سأتبعك ، إلى حيث تشاء .

قلت فى عصبية :

ــ ما الذى يعنيه هذا؟! ..

قلب كفيه مرة أخرى ، وزفر فى أسى ، مجيبًا :

ــ صحيح أن جدك رجل عظيم ، ولكنه لا يتعامل بتلك الأجهزة الحديثة ، التى تتحدث عنها ...

اندفعت أصيح فيه :

ــ لا تحاول أن ...

قاطعنى ، محاولاً تهدئتى :

ــ قلت : إننى سأتبعك إلى حيث تشاء ، بغض النظر عن أى شىء .

هتفت فى حدة :

ــ وأنا سألتك عما يعنيه هذا .

هز رأسه فى أسى ، قائلاً :

ــ لست أدرى ماذا أصابك ، منذ وصلت إلى هنا ، ولكنك تتحدث عن معمل وأجهزة حديثه ... قدنى إليها إذن .

استرجع عقلى فى لحظـــة ، كل الخطـــوات التى قام بها ، فاندفعت أغادر الحجرة ، وأنا أهتف فى تحد :

ــ نعم ... سأقودك إليها .

سمعت وقع قدميه ، وهو يسرع للحاق بى ، فتابعت ، وأنا أسبقه ، فى الهبوط فى درجات السلم :

ــ كل هذا هناك ، خلف تلك المكتبة الصغيرة ، فى الطابق الأرضى ، حيث المدخل السرى ، إلى معمل جدى .

سمعته من خلفى ، يقول مشفقًا :

ــ معمل حديث ، ومدخل سرى ؟!!... هل تكثر من قراءة روايات المغامرات ؟!

Looloo
www.dvd4arab.com

أغاظتنى عبارته الأخيرة ، فاندفعت نحو مكتب الطابق الأرضى ، حيث تلك المكتبة الصغيرة ، وقفزت يدى إلى نفس الكتاب ، الذى استخدمه لفتح المدخل السرى ، وجذبته بالوسيلة نفسها ، و...

ولم يحدث شىء ...

تراجعت كل الدهشة ، وأنا أحدق فى الكتاب ، ثم فى الفراغ ، الذى انتزعته منه ، ثم انقضضت بكل غضبى على المكتبة ، أحاول زحزحتها من مكانها ، فهتف هو منزعجًا :

ــ حذار أن تسقط الكتب .

صرخت بكل انفعالى :

المدخل السرى خلف هذه المكتبة .

قال بنفس اللهجة المشفقة :

ــ اهدأ ، وسنتعاون معًا فى دفعها .

تعاون معى بالفعل ، ورحنا نزيح تلك المكتبة الصغيرة معًا ...

كانت ثقيلة للغاية ، شأن كل أثاثات زمنها ، إلا أنها راحت تنزاح رويدًا رويدًا ، وكلما انزاح جزء منها ، شعرت نفسى باليأس ، مع الجدار ، الذى يظهر خلفها ...

وكمحاولة يائسة أخيرة ، رحت أطرق الجدار بقبضتى فى قوة ؛ فى محاولة لأن استشف أى فراغ خلفه ...

ولم يكن هناك أى فراغ ...

ولا أى مدخل سرى بالتالى ...

وانهرت على أقرب مقعد صادفنى ، وقد تحول كيانى إلى كتلة من اليأس ...

ولم يعد هناك مفر من أن أعترف ، بأن (عدنان) على حق هذه المرة ...

شىء ما أصابنى ، منذ وضعت قدمى فى هذا البيت ...

شىء مزعج ، غامض ، عجيب ...

ومخيف ...

للغاية ...

« ماذا الآن ؟!... »

ألقى (عدنان) سؤاله فى حذر ، فغمغمت ، دون أن أرفع عينى إليه :

ــ لست أدرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

صمت لحظات ، ثم سألنى فى حذر :

ــ أمازلت تذكر كل شىء فى وضوح ، كما لو أنك قد عشته بالفعل ؟!

أومأت برأسى إيجابًا فى يأس ، وأنا أكاد أبكى ، من شدة الحيرة ، فصمت لحظة أخرى ، ثم قال فى صوت خافت :

ــ العجيب أنك قد ذكرت أمرًا ، لم أخبرك به بعد .

رفعت عينى إليه متسائلاً ، فتابع فى حذر :

ــ رماد جدك .... لست أدرى كيف علمت بشأنه .

سألته فى دهشة ، وجسدى يرتجف من المفاجأة :

ــ أهو موجود بالفعل ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وأشار بيده ، قائلاً :

ــ فى ذلك الوعاء فى حجرتك ، على المائدة الصغيرة ، إلى جوار النافذة ..

هتفت فى دهشة منزعجة :

ــ أيحوى رماد جدى ؟!

أومأ برأسه إيجابًا فى بطء ، قبل أن يغمغم :

ــ وهذا يضعنى أمام تفسير واحد .

سألته فى توتر :

ــ وما هو ؟!

أجابنى فى سرعة :

ــ إنها محاولة اتصال .

كررت فى دهشة حذرة :

ــ محاولة اتصال ؟!

أومأ برأسه إيجابًا مرة أخرى ، بنفس البطء ، قبل أن يقول فى مهابة :

ــ نعم ... محاولة اتصال من جدك .

بدت الدهشة على ملامحى ، فأضاف فى رهبة :

ــ أو بمعنى أدق ، من روح جدك .

وخيل إلىَّ أن الموقف كله ينقصه سطوع البرق ، حتى يكتمل المشهد ...

مشهد الرعب .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

9 ـ روح جـدى ...

ليلة عصيبة ، تلك التى قضيتها ، بعد ما قاله لى (عدنان) ، عن محاولة روح جدى الاتصال بى ، على هذا النحو ...

ذلك الوعاء الأنيق ، المجـاور للنافذة ، والذى كنت أراه ، مع شروق كل شمس ، صورة مبدعة للجمال ، قضيت ليلتى أتطلع إليه فى رعب ، متصورًا أن تخرج منه روح جدى فى أية لحظة ...

وعلى الرغم منى ، رحت أفكر فى هذا الاحتمال ...

ماذا لو أن روح جدى تحاول الاتصال بى حتمًا ؟!...

ماذا لو أن لديه ما يريد إخبارى به ؟!...

لقد قرأت وشاهدت أعمالاً كثيرة ، تتحدث عن هذا ...

عن روح هائمة ، تريد إيصال رسالة إلى عالم الأحياء ...

أو تحذير ما ...

وفى قلق شديد ، رحـت أتساءل : ما الذى يمكن أن تحاول روح جدى الحبيب إبلاغى به بالضبط ، عبر هذا الاتصال ؟!...

أهو أمر يتعلق بموته ؟!...

هل مات قتيلاً مثلاً ؟!...

أم إن هناك ما يريدنى بالفعل أن أكمله ؟!...

قضيت شطرًا طويلاً من الليل أفكر فى هذا ، قبل أن يغلبنى النوم فى النهاية ، قبيل الفجر بساعة واحدة ...

ثم هاجمنى ذلك الكابوس مرة أخرى ...

كابوس تصورت فيه أننى أفتح عينىّ ، فأجد جدى واقفًا عند طرف فراشى ، يتطلع إلىّ بنظراته الصارمة ، وهو يرتدى حلّته التقليدية القديمة ...

ثم فجأة ، تحولت الحلة إلى معطف معامل أبيض ...

وتحولت حجرة النوم إلى ذلك المعمل فى القبو ...

وإلى جوار جدى ، وقف (عدنان) ، يتطلع إلىّ بدوره ...

كانت دائرة المصابيح الضخمة كلها مضاءة ، تصب على وجهى وجسدى ، وكل أجهزة الكمبيوتر الحديثة فى المعمل تعمل ، وشاشاتها ترسم آلاف الرموز العجيبة ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ولأول مرة فى كابوسى ، سمعت صوت جدى الخشن ، وهو يقول :

ــ خلاياه الأصلية بدأت تستيقظ .

أجابه (عدنان) فى اهتمام :

ــ يبدو هذا ، ولكننى كنت أتوقع وقتًا أطول .

هز جدى رأسه فى صرامة ، وهو يقول :

ــ خلاياه البشرية ليست فى قوة الخلايا الأصلية .

كنت أتطلع إليهما بنظرة خاوية ، وبلا أية انفعالات تقريبًا ، ورأيت جدى يميل نحوى ، ويسألنى :

ــ هل ترانى فى وضوح ؟!

أردت أن أجيب بشىء ما ، ولكن ، وكما يحدث فى الكوابيس ، انعقد لسانى ، ولم أستطع قول شىء ...

أى شىء ...

وفى غضب ، اعتدل جدى ، وقال (عدنان) ، بنفس هدوئه المستفز :

ــ أخبرتك أنه سيحتاج إلى وقت أطول .

هز جدى رأسه نفيًا فى قوة ، وقال فى صرامة شديدة :

ــ كــلا ...

ثم عاد يميل نحوى فى شدة ، وتطلع إلى عينىّ المفتوحتين مباشرة ، وهو يقول فى صرامة غاضبة :

ــ لقد حان الوقت ... استيقظ .

وانتفض جسدى فى عنف ...

واستيقظت ...

كانت الشمس تغمر حجرتى عندما فتحت عينىّ ، وشعاع منها ينعكس على ذلك الوعاء ، ثم يتجه نحو وجهى مباشرة ...

ولأول مرة ألاحظ هذا ...

شعاع الشمس ، أظهر بريقًا خاصًا فى ذلك الوعاء ...

بريق يعكس كل ألوان الطيف مجتمعة ...

لست أدرى كيف لم أنتبه إلى هذا فى المرات السابقة ، ولعل السبب هو رؤيتى الشخصية لذلك الوعاء فى السابق ، ورؤيتى له اليوم ...

Looloo
www.dvd4arab.com

ربما !!...

نهضت من فراشى ، واقتربت فى شىء من الحذر ، من ذلك الوعاء ...

إنه وعاء جميل المظهر ولا شك ، ولكنه مصنوع من مادة غير عادية ، أو من قطع صغيرة من مواد مختلفة ، لكل منها نوعه وبريقه ...

والأضواء ، التى تبعث ، من انعكاس أشعة الشمس عليه ، تمتزج مع بعضها البعض ، لتبعث فى نفسك شعورًا عجيبًا ...

شعور هو مزيج من الرهبة ، والخوف ، مع استرخاء لا يناسب كليهما ...

وبمنتهى الحذر والتوتر ، مددت يـدى ، ألمس ذلك الوعاء للمرة الأولى ...

ثم تراجعت فى ذعر ...

الوعاء معدنى تمامًا ، كما يوحى شكله وبريقه ، ولكن ملمسه ناعم إلى حد مدهش ، أشبه بملمس مخملى رقيق ...

ثم إنه بارد إلى درجة عجيبة ، كما لو كان مصنوعًا من الثلج ، وليس من المعدن ...

وعلى بعد مترين منه ، رحت أتأمله فى توتر ، وعقلى يطرح علىّ عشرات الأسئلة ...

من أى شىء صنع هذا ؟!...

وكيف ؟!...

وهل يحوى بالفعل رماد جدى ؟!...

ولماذا هو هنا ؟!...

لماذا ؟!...

لماذ ؟!...

لماذا ؟!...

ملت نحو الوعاء فى حذر ، وأمسكت غطاءه البارد ، وجذبته فى رفق ؛ لألقى نظرة على رماد جدى ...

ولم يرتفع الغطاء ...

جذبته مرة ثانية ...

Looloo
www.dvd4arab.com

وثالثة ..

ورابعة ...

وفى كل مرة كنت أجذبه بقوة أكبر ...

وأكثر ...

ثم بدت لى الحقيقة واضحة ...

الغطاء مثبت فى الوعاء ، على نحو ما ، بحيث لا يمكن رفعه عنه أبدًا ، وكأنما حرص جدى ، أو حرص (عدنان) ، على ألا يفتحه أحـد ؛ خشـية أن يتناثر رماد جدى ؛ جراء خطأ ما ، أو هفوة ما ...

دفعت أكبر قدر من الشجاعة إلى جسدى ، وحاولت أن أطغى به على كل مشاعرى ، ومددت يدى ألتقط الوعاء ، وأرفعه عن تلك المنضدة الصغيرة ...

وهنا انتفض جسدى مرة أخرى ...

وبمنتهى العنف ...

الوعاء كان مثبتًا أيضًا بالمنضدة ..

حقيقة كشفتها ، عندما حاولت رفعه أولاً فى رفق ، ثم فى قوة ، تحولت بعدها إلى إصرار ، بل وعنف ، على الرغم من ملمسه البارد ، الذى صار يؤلم يدى ...

وهنا تراجعت ، ورحت أحدق فيه مرة أخرى ...

أى وعاء هذا ؟!...

والسؤال الأهم : أهو بالفعل وعاء لحفظ الرماد ، أم إنه شىء آخر ؟!...

استمر تحديقى فيه لحظات ، انتقلت خلالها مشاعرى كلها ، من الخوف إلى الضيق ، ثم إلى غضب ، جعلنى أهتف فى حدة :

ـ (عدنان) ... أين أنت ؟!..

لم يجب سؤالى ، الذى كررت النداء به عدة مرات ، فاندفعت خارج الحجرة ، وأنا أهتف به مرة أخيرة ، قبل أن أهبط للبحث عن (عدنان) هذا ...

كان المنزل هادئًا ساكنًا ، تغمره أشعة الشمس ، عبر كل نوافذه المفتوحة ، وكان مرتبًا نظيفًا للغاية ، وتلك السيارة عتيقة

Looloo
www.dvd4arab.com

الطراز تقف أمامه ، فى نفس موضعها ، ولكن لم يكن هناك أثر لـــ (عدنان) ...

أى أثر !!...

قضيت ما يقرب من نصف الساعة ، فى البحث عنه ، وفحصت خلال هذا تلك المكتبة الصغيرة مرة أخرى ، ولكنه كان قد اختفى تمامًا ...

وعلى نفس المقعد ، الذى اعتدت تناول طعام إفطارى عنده ، جلست أدير عقلى فى كل ما حدث ، منذ وصلت إلى هذا المكان ...

كل شىء ، وكل حدث ، وكل موقف ، كان يدعو لحيرة ، لا حدود لها ، كمـــا لو أننى أحيـــا فى فيلم سينمائى ، من أفلام الرعب الأمريكية ، وليس فى عالم الواقع ...

أغمضت عينىّ ، وتساءلت : أمن الممكن أن يكون كل هذا حلمًا ؟!...

أو حتى كابوسًا ، من نوع لم أمُرُّ به من قبل ؟!...

ولكن الأحلام ، وحتى الكوابيس ، لا تأتى بهذا الوضوح ، وبكل هذه التفاصيل الدقيقة ، والمشاعر الواضحة المميزة ...

ولو أنه ليس حلمًا ، فما هو؟!..

لو لم أجد جوابًا ، فهذا لن يعنى أن ما يحدث فى منزل جدى الحبيب أمرًا عاديًا ، بأى مقياس عملى ، أو علمى ...

أو حتى منطقى ...

ما يحدث هو أمر عجيب ...

عجيب ...

عجيب إلى أقصى حد ...

ثم فجأة ، قفزت تلك الفكرة إلى رأسى ...

إنه (عدنان) ولا شك ...

(عدنان) يريد إصابتى بالجنون ، أو بالرعب ، ودفعى لمغادرة المنزل ؛ حتى يمكنه الاستيلاء عليه لنفسه ..

فالمنـــزل ، بكل ما يحويه مـــن تحف نادرة ، يساوى ثروة بلا شك ...

ثروة كبيرة ...

ثروة ، ربما تقدر بالملايين ...

Looloo
www.dvd4arab.com

نعم ... هو (عدنان) ...

هذا هو التفسير الوحيد ...

نهضت فى حزم ، عند هذه النقطة ، أناديه مرة أخرى فى قوة ، على الرغم من ثقتى فى أنى لن أتلقى جوابًا ...

ومع الصمت والسكون ، اللذين أجابانى ، طرح عقلى علىّ سؤالاً جديدًا ..

لو أن (عدنان) هو من يفعل هذا حقًّا ، فكيف يفعله ؟!...

كيف يدس كل هذا فى عقلى ، ويقنع به مشاعرى ؟!...

كيف ؟!...

« إنه الوعاء ... »

هتفت بالكلمة فى انفعـال ، عندما بدا لى أنه يستخدم ذلك الوعاء العجيب ، الذى يعكس أشعة الشمس على وجهى كل صباح ؛ لكى يضعنى فى حالة أشبه بالتنويم المغنطيسى ، يمكن معها أن أحيا فى عالم من الوهم ، متصورًا أنه كل الحقيقة ...

مع هذا الاستنتاج ، اندفعت أصعد إلى أعلى ، عائدًا إلى حجرة النوم ، وإلى ذلك الوعاء مباشرة ...

وأمام الوعاء توقفت متوترًا ، وأنا أتطلع إلى بريقه العجيب ، ثم غمغمت فى عصبية :

ـ سامحنى يا جدى الحبيب ، لو أن رمادك داخل هذا الوعاء بالفعل .

اعتمدت على المنضدة بقدمى اليمنى ، واستنفرت كل قوتى ، وجذبت الوعاء ...

كان ملتصقًا بالمنضدة فى قوة ، إلا أن أصابعى شعرت ببدء حركته ، فوجدت نفسى ، ودون أن أشعر ، أصرخ بكل قوتى :

ـ ساعدنى يا جدى .

ومع نهـاية صرختى ، انفلت الوعاء ، وفقـدت مع انفلاته توازنى ، وتراجع جسدى فى عنف ، وأنا أتشبث بالوعاء ، بكل ما أملك من قوة ...

وعلى الرغم من قوة ارتطامى بالأرض ، لم أشعر بأى ألم ، وكأن مشاعرى كلها قد توقفت عند ضرورة الحفاظ على الوعاء ...

www.dvd4arab.com

وبأى ثمن ...

ولكن ارتطامى بالأرض ، أطار غطاء الوعاء ، الذى بدا لى شديد الإحكام ، فصرخت بكل ارتياعى :

ــ لا .... رماد جدى ...

وعبر الوعاء المفتوح ، تناثر رماد جدى الحبيب فى هواء الحجرة ، وتساقط بعضه على وجهى ، فسعلت فى قوة ، وأغلقت عينىّ فى شدة ....

وسمعت تلك الأصوات من حولى ...

ومع خفقات الرعب فى قلبى ، فتحت عينىّ ، اللتين اتسعتا عن آخرهما ، فى رعب ذاهل ...

فما رأيته أمامى كان مخيفًا ومذهلاً ...

بكل المقاييس .

* * *

10ـ جدى .. أنـا ..

مستحيل !!... لا يمكن أن يكون ما أراه حقيقيًا !!...

إننى لم أعد فى حجرة نوم جدى ...

لم أعد ممسكًا بذلك الوعاء ، ولا يحمل وجهى أثر رماده !!...

لقد فتحت عينىّ ، لأجد نفسى مقيدًا إلى تلك المنضدة الجراحية ، فى معمل جدى ، الذى أكّد (عدنان) أنه لا وجود له ...

وأمامى مباشرة يقف (عدنان) مبتسمًا ابتسامة هادئة ، خلف آخر شخص يمكن أن أراه فى عالم الحقيقة ...

جدى ..

كان حيًّا تمامًا ، ويحمل تلك النظرة الصارمة ، التى حفظتها من صورته الكبيرة فى منزلنا ، ولكنه لم يكن يرتدى حلته العتيقة النمطية ...

كان يرتدى معطفًا أبيض اللون ، يشبه معاطف الأطباء ، ويرتكن بيده على جهاز عجيب ، لم أشاهد مثيلاً له فى حياتى كلها من قبل ...

Looloo
www.dvd4arab.com

حدقت فيهما ذاهلاً ، قبل أن أغلق عينىّ فى قوة ، وأغمغم بكل توترى :

ــ ليس هذا حقيقى ... إنه حلم ... كابوس ..

شعرت بملمس يد جدى على وجهى ، وهو يقول فى صرامة خشنة :

ــ بل هو حقيقة ... أنت لست نائمًا .

وأضاف (عدنان) فى ارتياح :

ــ لقد استيقظت .

فتحت عينىّ أحدق فيهما مرة أخرى فى ذهول ، قبل أن أقول بصوت مرتجف :

ــ ولكن جدى مات بالفعل .

اعتدل جدى ، وهو يقول فى صرامة :

ــ كانت هذه هى الوسيلة الأفضل ؛ لجذبك إلى هنا .

حدقت فى جدى مرة أخرى ، غير مصدق أنه على قيد الحياة ، وقلت بنفس الصوت المرتجف :

ــ إذن فأنت لم تمت .

مط شفتيه ، وهو يقول :

ــ ليس بعد .

هززت رأسى فى قوة ، وأنا أقول :

ــ ولكنك تبدو كصورتك تمامًا ، التى أحفظها منذ طفولتى ... لا أحد يبقى على الهيئة نفسها ، لأكثر من ثلاثين عامًا .

أجاب ، وهو يتحسس شاشة جهازه :

ــ إنها هيئتى ، منذ جئت إلى هنا .

لم أفهم ما الذى تعنيه عبارته ، ولا لماذا يقيداننى إلى المنضدة ، التى تكاد دائرة الضوء فوقها تغشى بصرى ، فقلت بكل توترى :

ــ لست أفهم شيئًا .

أجابنى (عدنان) هذه المرة ، بنفس هدوئه المستفز :

ــ أنت فى نصفك واحد منا ، وكان من الضرورى أن تصل انفعالاتك إلى ذروتها ، حتى تبلغ خلاياك الحد الأقصى ؛ لإيقاظ النصف الخاص بنا ، على حساب نصفك البشرى .

Looloo
www.dvd4arab.com

حدقت فيه ذاهلاً ، وأنا أحاول التخلص عبثًا من قيودى ، مكررًا :

ــ لست أفهم شيئًا ... لست أفهم شيئًا !!..

تحسس (جدى) وجهى مرة أخرى ، قبل أن يقول :

ــ الواقع أننا جنس يحيا على الأرض ، منذ ملايين السنين ، ولكننا لم نفصح عن وجودنا قط ، منذ بدأت الحضارة البشرية على وجه الأرض ... وهذا المنزل هو النقطة الرئيسة ، التى يمكننا عندها الاتصال المباشر بعالم البشر .. وستتعلم الكثير عن جنسك الحقيقى ، مع مرور الوقت .

رددت ذاهلاً :

ــ جنسى الحقيقى ؟!

مط شفتيه ، وهو يقول بصرامته الخشنة :

ــ أمك خالفت القواعد ، وفرت من هنا ، وتزوجت بشريًا ، وكنت أنت نتاج هذا الزواج ... لم نكن نعلم إذا ما كنت تحمل فى جيناتك خلايانا أم لا ، وكان من الضرورى أن نحضرك إلى هنا ؛ حتى نكشف هذا .

استرخى جسدى ، مــن فــرط ذهــولى ، وعقلى يسترجع كل ما مر بى ، منذ وصولى إلى منزل جدى ، وما بدا لى كأمور يستحيل فهمها ، وغمغمت مستسلمًا :

ــ إذن فكل ما رأيته وواجهته هنا كان ...

قاطعنى جدى ، قائلاً :

ــ مجرد وهم ... وهم صنعته واحدة من آلاتنا المتطورة ، التى تجعلك تحيا فيه بكل حواسك ، كما لو كان حقيقة ملموسة ...

وأضاف (عدنان) ، بابتسامة باهتة :

ــ الواقع أنك لم تعد فى وعيك ، منذ وضعت قدميك فى السيارة ، أمام مطار (بيروت) ... أجهزتنا أفقدتك وعيك مباشرة ، ثم سيطرت على عقلك ؛ لتحيا فى عالم افتراضى ، صنعناه لك .

قال جدى ، وهو يشد جسده فى صرامة :

ــ كان الهدف هو إنهاك عقلك بمتناقضات لا حصر لها ، تجهد مشاعرك وخلاياك البشرية ، حتى تتغلب عليها خلايا بنى جنسك .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم مال نحوى بشدة ، مضيفًا :

ــ ولقد نجح هذا تمامًا .

أشار (عدنان) إلى الجهاز ، وهو يقول :

ــ جهازنا أكد أن خلايا جنسنا قد انتصرت أخيرًا ، وأنك قد صرت بالفعل واحدًا منا .

أضاف جدى بصرامته الخشنة :

ــ ولقد عملنا على ألا تستيقظ خلاياك البشرية ، إلا بالقدر الذى لا يسمح لها بالسيطرة على كيانك مرة أخرى .

غمغمت فى مرارة :

ــ أتعنى أننى لم أعد بشريًا ؟!

أجابنى فى حزم :

ــ فى الجزء الأعظم منك .

ثم بدأ فى حل قيودى مع (عدنان) ، وهو يضيف :

ــ والواقع أن هذا سيضيف إليك قوة جديدة ، تؤهلك لاحتلال موقعى ، بعد أن حان وقت عودتى .

سألته فى استسلام عجيب :

ــ عودتك إلى أين ؟!

أجاب فى صرامة :

ــ ستعرف كل هذا مع مرور الوقت .

كانا قد حلا قيودى كلها ، فنهضت فى بطء ، أتطلع إليهما فى استسلام كامل ، فى حين خلع جدى معطفه الأبيض ، وناوله إلى (عدنان) ، وهو يقول :

ــ هذا المنزل صار ملكًا لك ، منذ هذه اللحظة ، و(عدنان) سيبقى معك لرعايتك ، وليشرح لك كل ما تريد معرفته ، حتى موعد اللقاء .

سألته بنفس الاستسلام :

ــ أى لقاء ؟!

أجاب ، دون أن يلتفت إلىّ :

ــ ستعلم فى حينه .

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم اتجه نحو ذلك الصندوق الزجاجى ، الذى يحوى الوعاء ، الذى أخبرنى (عدنان) أنه يحوى رماده ، عندما كنت أحيا فى ذلك العالم الوهمى الافتراضى ، وهو يضيف :

ـ وعليك أن تعلم ، ومنذ هذه اللحظة ، أنه لم يعد مسموحًا لك بمغادرة هذا المنزل بعد الآن ... أبدًا .

كان هذا القول كفيلاً بإثارة كل غضبى وتوترى فيما مضى ، ولكن العجيب أننى قد استقبلته فى استسلام عجيب ، وأنا أردد بلا انفعال :

ـ أبدًا ؟!

لمس الصندوق الزجاجى بيده ، وهو يجيب فى صرامة :

ـ أبـــدًا .

وما أن لمس ذلـــك الصـــندوق ، حتى بـــدا وكأن جسده كله يتلاشى ، ثم يتحول إلى ما يشبه الدخان الأزرق الكثيف ، الذى عبر زجاج الصندوق ، مخالفًا كل قواعد الطبيعة ، ثم غاص فى قلب الوعاء الأنيق فى منتصف الصندوق ، وتلاشى بدوره ...

وللحظات ، جلست أحدق فى الصندوق الزجاجى بلا مشاعر ، حتى قال (عدنان) فى هدوء شديد :

ـ هـــذا يشـــبه ما تطلقون عليـــه ، فى العلم الأرضى ، اسم الانتقال الآنى .

غمغمت متسائلاً :

ـ وإلى أين ينقله ؟!

أجاب بنفس الهدوء :

ـ إلى عالمنا .

وقفت أمام نافذة منزل جدى ، أراقب غروب الشمس ، وأنا أستعيد فى ذهنى كل هذا ، وأسترجع كل تفاصيل ذلك العالم الافتراضى ، الذى عشت فيه ...

كان المنزل يشبه تمامًا ما رأيته فيه ...

كل شىء فيه قديم عريق ، ويمتلئ بالتحف الثمينة ، فيما عدا عدة فروق أساسية ...

Looloo
www.dvd4arab.com

الطابق العلـوى كان يحـوى حجـرة نوم واحدة ، ولا وجود للحجرتين الأخريين على الإطلاق ...

وحجرة (عدنان) لم تعد خالية ، ولا حتى مؤثثة بذلك الأثاث العريق ...

لقد كانت تحـوى حجـرة مكتب ، تضم العديد من الوثائق الأصلية ، والكتب الثمينة ...

والمعمل كان موجودًا بالفعل ، خلف تلك المكتبة الصغيرة ...

ولكن الأهم أن الإضاءة لم تكن خافتة على الإطلاق ...

وفى داخلى تولد شعور عجيب ...

شعور بأننى لم أعد بشريًا ...

ولم أكن كذلك على الإطلاق ...

ومن خلفى ، جاء (عدنان) يسألنى ، فى احترام شديد :

ـ هل ترغب فى أى شىء ... يا سيدى ؟!

كانت أول مرة يخاطبنى فيها بهذا اللقب ، على الرغم من أنه بدا لى معتادًا ، وأنا أقول :

ـ كلا ... يمكنك الانصراف .

تساءلت ، والشمس تختفى فى الأفق ، عن ذلك اللقاء ، الذى لم يخبرنى أحدهم شيئًا عنه ...

بمن سألتقى ؟!...

وكيف ؟!...

ولماذا ؟!...

ومع غياب الشمس ، ابتعدت عن النافذة الكبيرة ، ووقفت أمام مرآة عريقة فى أحد جدران المنزل ، لألقى نظرة على ملامحى الجديدة ...

الملامح التى هى نسخة طبق الأصل من ملامح جدى ... الحبيب .

* * *

تمت بحمد الله

Looloo
www.dvd4arab.com

عزيزى القـارئ

أصدقائى ... أصدقاء الورق ..

مرة أخـرى نلتقى ، على صفحات هـذا الباب ، من سلسلة كوكتيل 2000 ...

ومرة أخرى نتواصل ...

فى هذه المرة أقدّم لكم موهبة جديدة ...

ريم على ... موهبة حقيقية ، فى السادسة عشرة من عمرها ، ولكن كتاباتها تسبق عمرها بعقود ... ولقد وصلتنى أعمالها عبر البريد الإلكترونى ، المنشور فى جريدة التحرير ، ولم أصدّق أن زهرة يانعة مثلها ، تمتلك مثل هذه الموهبة !!...

تذكروا اسم ريم ؛ لأنه سيلمع يومًا وسط أدباء الجيل القادم ، وستفخرون يومًا بأنكم أوّل من قرأ إبداعاتها ...

اقرءوا معى ما كتبته ريم ، ذات الستة عشر ربيعًا ...

الوحـدة

حينما تكون وحيدًا تحتضنك الوحشة كما تحتضن الأم ابنها ولكن هذا لا ينطبق على من أنار الله قلبه ووهبه نعمة راحة البال ، فأصبح وحيدًا وليس وحيدًا ، فكيف يكون بمفرده وتحيط به الملائكة من كل جانب ؟! وكيف يكون حزينًا والسعادة رفيقة عمره لا تتركه إلا حينما يقرر هو بادئ ذى بدء أن يتركها ؟! الوحدة أهى لا شىء أم هى كل شىء ؟ أهى الحزن والألم أم هى منبع الأمل ؟ هى مولد الأفكار أم هى بداية الانهيار ؟ ماذا تعنى الوحدة ؟ أن تكون بمفردك أم أن تكون مع الناس ؟ أن تكون مع الله أم أن تكون مع غيره ؟ أهى يسر بين عسرين أم عسر بين يسرين ؟ لعلها كلمة غامضة برغم أنها مجرد أربعة حروف .

يجب أن تكون لأنك قد كنت

أتعرف من أنت ؟ ماذا أن نظرت إلى مرآتك ماذا سترى ؟ أسترى بعض الملامح التى اعتدت أن تراها ؟ أم سترى تلك الملابس الجديدة التى ابتعتها لتكون رائعًا ؟ لم أكتب لأجيب لك عن هذه الأسئلة ، إنما كل ما أردت أن أخبرك إياه أنك رائع .

Looloo

ليست الملابس الجديدة هى الرائعة ، إنما أنت ، إنه أنت الرائع ، أنت الرائع الذى جعل القماش رائعًا . أتعلم منذ متى وأنت رائع ؟ هل وقتما نجحت فى سنتك الدراسية الأولى ؟ أم عندما صنعت صاروخًا من ورق وأنت ابن الأربعة أعوام ؟ روعتك سبقت كل هذا ، أنت رائع وكنت رائعًا منذ كنت ترابًا . ما الرائع فى أن أكون أنا وأنت تراب ؟! الروعة كل الروعة أن هذا التراب نفخ الله ــ سبحانه وتعــالى ــ فيه من روحه الكريمة . هل فكرت يومًا وأنت تنظر إلى نفسك فى المرآة أنك جزء لا يتجزأ من روح الله ؟! الله رحيم وأنت إن بحثت عن الرحمة بداخلك لا شك فى أنك ستجدها ، لأنه الرحيم سبحانه سمح لنا أن نكون رحماء ولكن حينما تؤمن أن الله رحيم ومنه جاءت رحمتنا على قدرنا البشرى ؛ أليس الرحيم رائعًا ؟ نسيت أن أكمل لك قصة روعتك ، بعدما نفخ الله فيك من روحه جعل ملائكته الذين يسبحونه فى الغداة والعشى ولا يعصونه ما أمرهم ، جعلهم يسجدون لأبيك آدم ــ عليه السلام ــ . أأدركت الآن كم أنت رائع ؟ إن لم تقتنع بعد فلدى ما يقنعك . لمن خلقت الجنة ؟ لمن أرسل الأنبياء ؟ لِمَ جعلك الله عبدًا له ؟ لمن سخرت الأرضَ ؟ خلقت الجنة لك أنت ، وأرسل الأنبياء الكرام لك أنت . وجعلك الله عبدًا له لعلمه أنك

ضعيف وتحتاج لمن يمدك بالقوة ، جعلك الله عبدًا له ونسبك له سبحانه ليحيا قلبك عزيزًا ليس بمال ولا جمال ولكن بالله الحى الذى لا يموت حتى لا تفقد هذه العزة أبدًا . جعلك الله عبدًا له ليحررك من كل معصية تريد أن تستعبدك وكل شهوة تريد أن تقيدك وكل شيطان يريد أن يضلك انتقامًا من خروجه من الجنة بسببك أنت . لك سخرت الأرض وخلقت السماء لتسير على الأرض فتدرك أنك رائع وتنظر إلى السماء وتشعر كم أنت رائع . وكيف لا تكون رائعًا وأنت من صنع الله وهو الذى خلقك وأنشأك وفى أى صورة ما شاء ركبك ؟! كيف لا تكون رائعًا وأنت أنت ، نفسك التى بين أضلعك بما تحــوى من عيــوب ومميزات هى النفس التى اختارها هو لك ، وهل هناك أروع من اختيار الله ؟ إن لم يعلم الله أنك قادر على أن تجعل الأرض أروع مما كانت ذى قبل لم استأمنك ــ سبحانه وتعالى ــ عليها ؟ لما حملك أمانة أن تختار كما شئت وأن تحيا كما شئت ؟ الله يعلم أنك رائع ، يا بن آدم خذ قرارك أن تحيا رائعًا حتى وإن لم ترزق من المال الكثير ، حتى وإن لم تمتلك سيارة أو هاتف حديث ، حتى وإن لم يكن بيتك فسيح . أنت رائع لأن ذاتك البشرية رائعة وإن بحثت عن روعتك فى كل أمتعة الدنيا ستعيش شقيًا لأنك تشعر أنه

Looloo
www.dvd4arab.com

لا قيمة لك فى حين أن إحساسك بتقديرك لذاتك هو أقرب إليك مما تتوقع . أن صدقت أنك رائع فلا تنس أن الرائع لا يكذب ، لا يسرق ، لا يخون الأمانة ولا يتكبر ، لكنه فهم معنى أنه عبد رائع . الآن انظر إلى مرآتك ودعك من كل تلك الشوائب التى عليها ؛ تجاهل ملامحك وملابسك انظر بداخلك بعمق ، أعمق ، أكثر عمقًا وحينما تشعر أنك قريب من نفسك فاهمس لها أنك رائع . وعليك أن تعلم أنك يجب أن تكون رائعًا لأنك قد كنت .

يا مصرنا

أأشــرق الفجر المضىء على أرضك يا بلادى ؟

لا ، لكنى لا زلت أحلم أنى سأرى أرض أجدادى

تستعيد مجدها وعلوها وتكون جميلة من كل الأبعاد

أنعم عليكِ ربى بما لم ينعم غيرك به

فأنت أم الدنيا ومن قلبى مغرم بحبه

لكننى لست الوحيدة التى تناشد لأعلى باسمك

مصر مصر لعلى أسمع الرد منك .. عندما يعلو صوتى بقسمك

قسمك الذى لطالما حفظه قلبى على أن أجعلك أفضل

قسمك الذى أقوله مع شروق الشمس لكى أراكِ أجمل

قسمك الذى يملأ الدروب فى كل مكان

يــا مصر يا مصــر يا أرض السلام والأمان

عودى عودى يا مصــر عودى بقوتك لتمحى الأشجان

وأنين الحزن الذى ملأ قلوب أحبابك فى هذا الزمان

أطلب منكِ أن تعودى وستجدينا فى طاعتك

نلبى ما تحتاجينه ونجتهد بمحبتك

نتعاهد أمام الله أن نرحب بسلامتك

من جروح المشاكل والآلام

وليالى الحزن والأحلام

لا ، لن أقول أنها كانت أوهام

فما زال قلب مصر ينبض وسيعود مهما كان

لذلك لماذا لا أدعوها أن تعود ؟!

فحيثما ذهبت ستجدنى من جديد

Looloo
www.dvd4arab.com

بجانبها حتى وإذا كان هذا المكان بعيد

فبقربها سيكون قلبى سعيد

وبحلمها ستغمر الأرض بالجمال

يا شعب مصر هذا ليس بخيال

فمصر تتحدث عن نفسها وبكلامها تهتز الجبال

استيقظى يا مصر فها هو الفجر وها هى الأحلام تتحقق

من كان يصدق ؟! من كان يصدق أننا سنوفق

أن نجعل مصر تسمعنا

ولا يوجد من يخدعنا

فمصر أكبر من ذلك

ومن يحاول أن يضرها فنرحب بالمعارك

ومن يخطر بباله شر لها سيكون هالك

مصر أنتِ أمى .. أنتِ ومن فيها أشعر بالحياة

يكفينى جمال شعبك وصفاه

والله يا مصر فإن شعبك كفـــاه

كفـــاه العلماء الذين مجدوكِ

يا أرض الانتصارات وعظموكِ

ومحوا كل الدموع وأسعدوكِ

وبسعادتك ابتسامتى تملأ العالم

فكل شعبك مثلى حالم

بأن تبقى هكذا ولا تذهبى

وقودى هذا الحصان الأشهبِ

على أن تنيرى لنا حياتنـــا

وتنثرى الحب بأرضنا

لتجعلى السعادة تغمر قلوبنا

ونحن لازلنا على عهدنا

فبحبك تتحقق أحلامنا

بأن نراكِ تجتهدين من أجلنا

يا مصرنـــا ها هو حبنـــا يا مصـــرنا

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

الموسم الرابع ، مـن المسابقة الأدبية ، أضاف هـذا المرة مسابقة للقصة القصيرة ، إلى جانب مسابقة الخيال العلمى ، وفاز بجائزة الخيال العلمى عن جدارة الموهبة الشابة (محمود مصطفى أحمد إبراهيم) ، عن قصة (جامعة الحكمة) ...

جامعة « الحكمة »

(أهلاً بكم أيها السادة فى اختبار القبول بجامعة الحكمة)

قالها ذلك الرجل شديد الأناقة وهو يتطلع فى وجوهنا بنظرات صارمة جادة ..

فى الحقيقة لم أكن مصغيًا إليه تمامًا .. فعقلى كان شاردًا متفكرًا ..

لقد تأكدت الآن كل ظنونى .. لم تكن هذه مجرد إشاعات جوفاء تلك التى يتناقلها الشباب فيما بينهم عن وجود جامعة دراسية شديدة السرية لا يعلم بأمرها إلا النخبة المختارة من أهل الحل والربط بالدولة ..

جامعة لا يمكن لأى طالب أن يلتحق بها .. فهى تختار طلابها بنفسها وترسل فى طلبهم فى نطاق من السرية المطلقة ..

وهذا ما حـدث معى .. فمنـذ يومين وأنا أسير فى الشارع بمفردى توقفت فجأة سيارة فارهة ليهبط منها رجلان مفتولا العضلات شديدا الأناقة أقرب ما يكونان إلى رجال المافيا الذين اعتدنا رؤيتهم فى الأفلام .. وفى ثوان معدودة كنت فى المقعد الخلفى لهذه السيارة محشورًا بين هذين الغولين مكبلاً مكمم الفاه معصوب العينين وقد شلت المفاجأة حركتى تمامًا ..

كان أول ما جال بخاطرى أننى قد اختطفت .. ومثل هؤلاء الخاطفين الذى تتجلى عليهم أمارات الثراء الفاحش لن يكونوا إلا تجار أعضاء بشرية أو تجارًا فى البشر أنفسهم ..

لا بالطبع لم يخطفونى ليطالبوا أهلى بفدية ضخمة إن كان هذا ما جال بخاطرك ..

فوالدى عامل بسيط يجاهد 14 ساعة يوميًا فقط ليكفل لنا ظروف المعيشة المتوسطة لا أكثر ..

حاولت أن أبدى بعض المقاومة لأكتشف فقط أنى أجلس بين ثورين لا يتزحزحان ..

وبعد أكثر من ساعتين تملكتنى فيهما مخاوف لا حصر لها ، كان هذين الثورين يحملاننى حملاً لبضعة أمتار ثم يلقيان بى

على كرسى ويكشفان العصابة عـن عينـاى لأرى جالسًا على مكتب أمامى ذات الرجل الذى يخاطبنا الآن ..

ولم يلبث أن هدأ مـن روعى واعتـذر عن الطريقـة الجافة التى « اضطروا » لإحضارى بها هنا على حسب قوله ..

ثم أخبرنى بكل شىء عن جامعة الحكمة تلك التى كان الناس يتداولون عنها الكثير من الإشاعات دون أن يصدقها الكثيرون .. والأحرى بها أن تسمى بجامعة (الحُكم) .. ذاك أنها جامعة سرية تابعة لأجهـزة الأمـن فى الدولة ، ووظيفتها هى البحث عمن يمتلكون المؤهـلات الكافيـة وإعدادهم ليتولوا المناصب القيادية العليا فى الدولة ثم تسليمهم هـذه المناصب بمجـرد تخرجهم منها ..

ومن هنـا تنبع سريتها .. فمنهـا تتخـرج قيادات الدولة والحكومة كلها ..

ولا يتجاوز عدد طلابها كل عـام الطالب الواحـد والذى يتم الاعتناء به عناية فائقة ..

وبعد أن أخبرنى بالعواقب الوخيمة التى سأجابهها إذا أفشيت أمر هـذه الجامعة ، أخبرنى بأنه إذا وافقت على ارتيادها فإنه

يتعين علىَّ الانتظار بعد يومين فى نفس الشارع الذى حملنى منه رجاله اليـوم ليحضرونى معصوب العينين بالطبع إلى المكان الذى سأخوض فيه اختبار القبول مع أربعة آخرين ليختاروا منا واحدًا فقط ..

وعندما حاولت أن أعرف لماذا وقع اختيارهم علىَّ وعلى هؤلاء الأربعـة بالذات ، أخبرونى لأننـا نملك المؤهلات اللازمة لذلك .. ولم يزيدوا .. ما هى هذه المؤهلات اللازمة ؟؟ لا أعلم ..

لابد أنهم أجروا عنا تحريات مكثفة ..

وخلال هذين اليومين فكرت كثيـرًا فى الأمر .. هل أنا حقًا أمتلك المؤهلات اللازمة ؟؟ لا أدرى .. وأخيرًا غلبنى فضولى وأقنعت نفسى بأن الأمر يستحق التجربة .. وهأنذا ..

(هل أنت معى يا سيف ؟؟)

قطع الرجل حبل أفكارى ليعيدنى إلى الواقع الـذى أنا فيه ، فاعتدلت فى مقعدى وأجبت باقتضاب : (نعم) .

استطرد قائلاً وهـو يقلب بصره بيننـا : (لن أطيل عليكم بالمقدمات .. اتبعونى) ..

Looloo
www.dvd4arab.com

قالها وهو ينهض من مقعده ويتجه إلى غرفة جانبية ونحن نتبعه ..

كانت غرفة صغيرة بها عشر كبائن صغيرة يفصل بينهم لوح خشبى سميك .. وفى كل كابينة منهم كرسى وثير ونظارة سوداء غريبة الشكل معلقة على الحائط أمام كل كرسى .. لاحظت كذلك على يدى الكرسى وأرجله أربطة بلاستيكية متصلة به ..

نظر إلينا هذا الرجل الذى لن نعرف اسمه أبدًا « لدواع أمنية » على الأرجح وقال : (ما ترونه أمامكم أيها السادة هو جهاز محاكاة متطور .. سيجلس كل منكم على إحدى هذه الكراسى وبمجـرد أن يرتدى هـذه النظـارة ، سيجد نفسـه فى مكان آخر والذى سيمر فيه بمراحل الاختبار .. طبعًا الانتقـال لن يكون فعليًا ، فقط ستشعرون به تمامًا كأنه واقع وحقيقة تتفاعلون معها ، وذلك عن طريق التأثيرات التى سيحدثها برنامج المحاكاة على العقل) .

سكت هنيهة وهو يتطلع إلينا ليتأكد أننا قد استوعبنا الجزء السابق ثم أردف قائلاً : (الاختبـار مدته نصـف ساعة فقط

وسيكون عبارة عن ست مراحل مختلفة ، فى كل مرحلة ستجدون أمامكم بوابتين ضخمتين مغلقتين .. عبـوركم لإحـدى هاتين البوابتين يعنى انتقالكم للمرحلة التالية ، أما عبوركم للأخرى فيعنى رسوبكم فى الاختبار وخروجكم منه فورًا .. ومع البوابتين ستجدون لغزًا ليس بالبسيط وعبـارة مكتوبة بطريقة ما فيها مفتاح هذا اللغز .. إذا أصبت الحل الصحيح لهذا اللغز فإن البوابة الصحيحة سوف تفتح .. أما إذا كان حلك خطأ فإن البوابة الأخرى سوف تفتح ..

وأخيرًا فإن أول من يصـل ويعبر البوابة السادسة الصحيحة هو الفائز الوحيد .. وإذا لم ينجح أى منكم فى ذلك قبل انقضاء نصف الساعة فهذا يعنى رسوبكم جميعًا) ..

صمت للحظة وهو يتفحص الوجوه الشابة أمامه .. مما دفعنى أنا أيضًا أن ألقى بنظرة فاحصة على المشاركين معى .. ثلاثة شباب وفتاة ..

قال الرجل الذى لن نعرف اسمه أبدًا : (حسنًا .. والآن ليتخذ كل منكم مقعدًا .. وأحب أن أخبركم أن كل واحد منكم سيتخذ

www.dvd4arab.com

طريقًا غير الآخر .. لن يلتقى أى منكم بالآخر فى أى من مراحل الاختبار عدا المرحلة الأخيرة عند البوابة السادسة .. كل من وصل إليها سيلتقون عندها) .

اتخذ كل منا مقعـدًا فى إحدى الكبائن العشر وجلس عليه واندفع حينها إلى الغرفة عدد من الرجال يشبهون الثورين اللذين أتيا بى إلى هنا وأخـذوا يثبتـون أيدينا وأرجلنا إلى الكرسى بالأربطة المتصلة به .. ثم أمسكوا بالنظارات من على الحائط والرجل الذى لم يعرف أحد اسمه أبدًا يقول : (يجب أن تعلموا أيها السادة أنه قـد تم اختياركم بعناية لأنكم تمتلكون عقولاً وذكاءً لا يمتلكه الكثيرون ...

والآن وما أن تضعوا النظارات سيظهر أمامكم اختبار بسيط .. مجرد إحماء لعقولكم .. منِ المفترض أن يكون كذلك طبقًا لتحرياتنا عنكم .. ليبدأ الاختبار .. بالتوفيق لكم جميعًا) .

وما إن وضِعت النظارة أمام عينى حتى اختلف المشهد تمامًا ..

* * *

وجدت نفسى فجاة وكأنى أقف مباشرة أمام شاشة إلكترونية كبيرة ..

وعلى هذه الشاشة يظهر الرسم التالى :

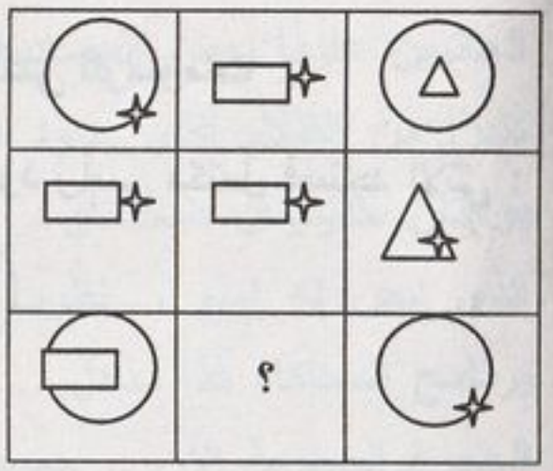

وأسفل هذا الرسم كانت هذه الرسومات الصغيرة

الأمر واضح إذن .. على أن أختار الرسمة الصحيحة التى يجب أن تحل محل علامة الاستفهام ..

هذا هو الإحماء .. !!

Looloo
www.dvd4arab.com

تعليق من كاتب القصة

(هل تستطيع أنت أن تجد الحل بمفردك دون أن تنظر إليه بالأسفل ؟)

فكرت قليلاً .. الأمر بسيط ..

ما هى إلا مجرد عملية طرح رأسى للرسومات ..

بمعنى آخر إذا نظرنا إلى كل عمود رأسى مكتمل فسنجد الآتى :

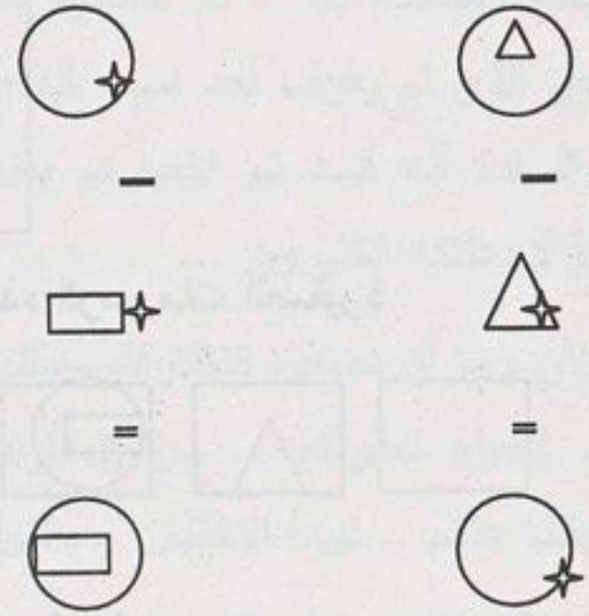

إذ إن المثلث مشترك بين الرسمتين وعند طرحهما فإن الذى يتبقى هو النجمة والدائرة .. وكذلك فى المثال الآخر فعند طرح النجمتين يتبقى المستطيل والدائرة .. إذن فى العمود الأوسط من

الجدول تكون الإجابة الصحيحة هى المربع الفارغ الواقع أقصى اليسار فى الاختيارات ..

ضغطت عليه بإصبعى فتغير المشهد مرة أخرى ...

وجدت نفسى فى حجـرة فسيحة ذات جدران حجرية على الجانبين عليها بعض المصابيح الواهنة التى لم تستطع أن تبدد كثيرًا من الظلام الذى يسود المكان .. أما أمامى فكانت هناك بوابتان حديديتان ضخمتان .. هذا ما كان يتحدث عنه الرجل الذى ليس له اسم .. نظرت إلى كفى فى دهشة وانبهار .. برنامج المحاكاة هذا مذهل .. لا أكاد أصدق أننى لست فى هذه الحجرة الحجرية الآن .. جميع حواسى مقتنعة تمامًا بأننى هنا فى هذا المكان .. شىء غريب .. لاحظت كذلك أن هناك ساعة أرتديها على معصمى لم تكن لدىَّ قبل أن آتى هنا .. ولما نظرت فيها وجدتها تمر عكسيًا .. بدأت من الدقيقة 30 ثم أخذت فى التناقص ..

استجمعت نفسى .. ليس لدىَّ وقت أضيعه .. فأنا لا أدرى ما سأواجهه .. نظرت حولى وتفحصت المكان جيدًا فلم أجد شيئًا غريبًا ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ثم اقتربت من البوابتين الضخمتين فى تؤدة .. وهناك وجدت منقوشًا على الحجر فوق البوابتين بخط كبير عبارة بالإنجليزية تقول : (Nobody listens until you say something wrong)

(لن يصغى أحد حتى تقول شيئًا خطأ)

هذا مثل إنجليزى معروف

ويفترض فى هذه العبارة أن يكون مفتاح اللغز .. ولكن كيف ؟

جال بخاطرى تفسير ما .. أظن أنه يجب أن أقول شيئًا خطأ كى تفتح البوابة .. ولكن ما هذا الشىء الخطأ الذى يجب أن أقوله ؟ لماذا لا آخذ العبارة على نحو أبسط قليلاً ..

تلقائيا صحت بصوت عال وقلت : (something wrong)

حسب ما فهمته أن هذه العبارة توجهنى لأن أقول جملة : (شىءٌ خطأ)

لن يصغى إليك أحد حتى تقول (شىءٌ خطأ) .. تفكير بسيط ..

تطلعت إلى البوابات .. لم يحدث شىء .. شعرت بخيبة أمل .. كان حلاً خطأ .. ثم انتبهت إلى شىء ما .. المفترض بحسب ما أخبرنا به الرجل الذى لم أعرف اسمه أنه إذا توصلت إلى حل

خاطئ فإن البوابة الأخرى سوف تفتح .. فما معنى أن شيئًا لم يحدث على الإطلاق ؟؟

الآن فهمت ..

صحت بصوت عال : (افتح) .

وهنا بالفعل بدأت إحدى البوابيتين فى الارتفاع ببطء شديد مطلقة صريرًا عاليًا ..

العبارة تقول : (لن يصغى إليك أحد حتى تقول : (شىءٌ خطأ)..

إذن فأنا أن قلت عبارة (شىءٌ خطأ) فعندها ستصغى البوابة المرادة إلىَّ .. وحينها إذا أمرتها بأن تفتح فستفتح ..

لقد كنت محقًّا ..

وما إن عبرت البوابة حتى بدأت تغلق من ورائى مرة أخرى لأجد نفسى فى غرفة مماثلة للتى كنت فيها منذ لحظات ..

الأمر أسهل مما توقعت ..

اقتربت من البوابتين أمامى لأجد العبارة التالية منقوشة فوقهما :

(Every solution breeds new problems .)

(كل حل ينتج مشاكل جديدة) .

Looloo
www.dvd4arab.com

فى هذه العبارة مفتاح اللغز .. تفكرت فيها قليلاً .. الأمر يزداد صعوبة شيئًا فشيئًا ..

وفجأة سمعت زئيرًا مخيفًا يتصاعد من إحدى أركان الحجرة ..

التفت بسرعة وبرغم الظلام تبينت شيئًا يتحرك نحوى ببطء ..

حتى إذا دخل فى دائرة الضوء انتفض قلبى رعبًا ..

كان أسدًا ضخمًا مخيفًا ..

يا ترى لو التهمنى هذا الأسد هنا فى برنامج المحاكاة فماذا يكون مصيرى حقيقة ؟ لا أدرى ولكنى لن أجرب هذا بالطبع ..

تراجعت بحذر والرعب يتملكنى .. وفجأة زأر الأسد زئيرًا عاليًا تردد صداه فى الأرجاء ..

وعلمت أنه يستعد للهجوم .. وبالفعل قفز قفزة عالية نحوى ..

انحنيت برشاقة متفاديًا انقضاضته ليعبر من فوقى .. متى أصبحت أمتلك مثـل هـذه الرشـاقة والخفـة ؟ لا شك أنها إحدى هبات برنامج المحاكاة ذاك .. شعرت بحماس يجرى فى عروقى ..

المشكلة الحقيقية أنه لا مخرج من هذه الحجرة أبدًا .. إلى متى سأظل أناور وأراوغ قبل أن يصل إلىَّ هذا الأسد ؟!

التفت إليه مرة أخرى .. وهنا اتسعت عيناى فى ذهول .. رأيت أمامى أسدين لا واحدًا .. من أين أتى الأسد الآخر ؟؟

وكانا يقتربان منى والشراسة بادية على وجهيهما ..

ودون مزيد من التفكير التقطت حجرين كبيرين وجدتهما ملقين على الأرض .. لابد أن أتخلص من هذين الأسدين حتى يتسنى لى معرفة حل اللغز وفتح البوابة .. لا وقت هناك ..

ولما اقترب الأسدان أكثر واستعدا للهجـوم ألقيت الحجرين عليهما بكل ما أوتيت من قوة ، الحجر تلو الآخـر .. منذ متى أصبحت راميًا بارعًا هكذا ؟ شعرت بالعرفان لبرنامج المحاكاة ذاك عندما أصاب الحجران الأسدين بقوة لا أمتلكها حقيقة فطرحاهما أرضًا بشدة ..

ولكن مرة أخرى اضمحل أملى لما رأيت الأسدين ينهضان مرة أخرى من سقطتهما بل والأدهى فقد انضم إليهما أسدان آخران تقدما من إحدى أركان الحجرة المظلمة نحوى .. أربعة أسود !! لقد أصبحت محاصرًا تمامًا .. كل حل أتوصل إليه هنا يعود على بالمزيد من هذه المشاكل ..

www.dvd4arab.com

لحظة .. أين رأيت هذه العبارة من قبل ؟

(Every solution breeds new problems .)

« كل حل ينتج مشاكل جديدة »

نعم .. هذه هى العبارة المنقوشة فوق البوابتين .. وهى تعبر بدقة عن الموقف الذى أنا فيه الآن ..

إذن كيف لى أن أجد حل اللغز ما دام كل حل سأفكر فيه سيجلب علىَّ المزيد من المشكلات ؟؟

تفكرت للحظة ووقفت فى سكون والأسود الأربعة تطلق زئيرها وتقترب منى فى ترقب ..

ثم طرأت لى فكرة ما .. فكرة لم يصف لها قلبى ولكنى لا أجد سبيلاً سواها ..

وقفت فى مكانى فى سكون تام . والأسود تقترب منى أكثر وأكثر..

حتى إذا أصبحت الأسود على مسافة كافية طارت نحوى فى انقضاضة واحـــدة .. لم أتحرك من مكانى البتة وقاومت غريزة حثيثة لدىَّ تأمرنى بمحـــاولة الفـــرار أو المراوغة ، وأغمضت عينىَّ فى خوف ..

وما إن اقتربت الأسود منى فى انقضاضتها كثيرًا حتى لم يعد يفصلنى عـــن مخالبها ســـوى سنتيمترات قليـــلة حتى اختفت وتلاشت فى الهواء ..

تنفست الصعداء عندما بدأت تفتح إحدى البوابتين أمامى .. لقد أصاب حدسى .. لقد راودنى أنه ما دام كل حل أفكر فيه فى هذه المرحلة سيجلب علىَّ المزيد من المشكلات ، إذن فالحل ألا أحاول العثور على حل .. لذا توقفت عن الفرار والمراوغة تمامًا وثبت فى مكانى .. وكان هذا هو الحل ..

اتجهت نحو البوابة لعبورها ونظرت إلى الساعة فى توتر .. لم يتبق أمامى إلا 20 دقيقة فقط .. المرحلة الثانية تلك كان الهدف الرئيسى منها أن ينشغل المرء بغريزة البقاء لديه بالفرار من الأسود ومن ثم إضاعة الوقت دون أن يشعر .. تلك الأسود التى لم تكن لتلتهم أحدًا على كل حال ..

عبرت البوابة فى حذر مترقبًا ما ستسفر عن المرحلة القادمة والبوابة تغلق من ورائى مرة أخرى كالعادة ..

لم يكن هناك ثمة فرق فى هـــذه الحجرة عن الحجرات التى سبقتها .. اقتربت من البوابتين لأقرأ العبارة المنقوشة على الجدار فوقهما .. كانت العبارة تقول :

Looloo
www.dvd4arab.com

Zeal without knowledge is fire without light

(الحماس بلا معرفة ، نار بلا ضياء)

حكمة طيبة .. ولكن أين مفتاح البوابة فيها ؟

التفت حولى يَمْنَة ويَسْرة ترقبًا لشىء قد يظهر ، لكننى لم أر أى شىء ..

عقدت حاجبىَّ فى ضيق .. لا وقت هناك للانتظار ..

درت فى المكان بسرعة مستكشفًا الأركان المختبئة فى الظلام .. ولكن لا شىء هناك ..

عدت إلى البوابتين واقتربت منهما أكثر ..

وهنا لاحظت فى إحداهما شيئًا غريبًا .. كان هناك على إحدى البوابتين دون الأخرى نقشًا دقيقًا لفراشة فاردة جناحيها ..

ولفت انتباهى أن فى النقش فى وسط كل جناح من جناحى الفراشة ثقبًا صغيرًا .. هل لهذا علاقة باللغز ؟

« الحماس بلا معرفة نار بلا ضياء »

أعدت قراءة العبارة مرة أخرى ..

وهنا تذكرت شيئًا ما بخصوص الفراشات جعلنى أتأكد أن هنا يكمن مفتاح اللغز ..

أعرف جيدًا أن ذكور الفراش تنجذب إلى النار بشدة وتندفع نحوها (بحماس) غير مدركة أنها ستحترقها ... ذلك أن إناث الفراش فى موسم التزاوج تفـرز من غـدة عند بطنها مادة كيميائية تطلق أشعة تحت حمراء .. وهذه الأشعة هى ما تجذب ذكور الفراش .. ولأن النار تطلق الكثير منها فإن الذكور تندفع نحو النار فى حماس غير مدركة لما ينتظرها هناك ..

أخذت أضغط على النقش فى جميع الاتجاهات .. ثم حاولت بشتى الطرق أن أدرك كيف يعمل ويفتح البوابة ولكن دون جدوى ..

تنهدت فى ضيق ..

نظرت إلى العبارة مرة أخرى .. وهنا استوقفنى شىء ما ..

جملة (نار بلا ضياء) .. النار بطبعها تحرق ولكنها تضىء .. هل هناك نار حقيقية تحرق ولكنها لا تضىء ؟ أو بالأحرى هل يوجد شىء هنا يحرق دون أن يضىء ؟ هكذا لمعت الفكرة فى رأسى ..

Looloo
www.dvd4arab.com

فأسرعت إلى إحدى المصابيح المعلقة على الجدران بجوار البوابة تمامًا ، ثم انتزعت المصباح من مكانه لأنظر إلى الأسلاك المتصلة به ..

النار لا يمكن أن تحرق دون أن تضىء .. هذا من خصائصها الملازمة لها .. أما الشىء الذى يمكنه أن يحرق دون يضىء هو الكهرباء .. فأنا أعلم أن الكهرباء تسبب حروقًا من الدرجة الثانية فى الجلد .. و قـد تضىء كذلك بطريق غير مباشر إذا أوصلتها بمصباح .. ولكن الضياء ليس من خصائصها الملازمة لها .. فليس كل سلك تسير فيه الكهرباء ينير !!..

هذا ما استنتجته ..

انتزعت السلكين اللذين يخرجان من قاعدة المصباح وشددتهما بقوة محاذرًا أن ألامس طرف السلك المكشوف ..

ثم شددتهما أكثـر حتى وصلت بهما إلى نقش الفراشة فى البوابة ووضعت طرف السلكين فى كل من الثقبين الموجودين فى الجناحين ..

وهنا صدق ما فكرت فيه ..

لقد بدأت البوابة فى الانفتاح رويدًا رويدًا ..

ابتسمت فى ارتياح ونظرت إلى الساعة .. خمس عشرة دقيقة فقط متبقية .. يجب أن أسرع ..

عبرت البوابة .. لأجد حجرة فيها بعض الاختلاف عن التى سبقتها .. فى وسط الحجرة كانت هناك طاولة خشبية صغيرة ومعها كرسيان صغيران يجلس على أحدهما رجل عجوز ينظر إلى الطاولة فى تركيز .. أقتربت منه أكثر فى تساؤل لأجد أمامه رقعة شطرنج ينظر إليهـا وكـوب به شىء ما يرتشف منه رشـفة كل حين .. التفت إلىَّ لما اقتـربت أكثـر وابتسم قائلاً : (أهلاً سيف .. تعال اجلس هنا) وأشار إلى الكرسى الفارغ أمامه ..

إنه يعرف اسمى كذلك !!

فى حذر جلست على الكرسى أمامه .. فقال : (لا تخش شيئًا .. أنا غير مؤذ على الإطلاق .. أنا أعرف أنك تريد أن تفتح هذه البوابة)

قلت فى ترقب : (نعم !!)

Looloo
www.dvd4arab.com

قال : (ما عليك سوى أن تهزمنى فى لعبة الشطرنج هذه وسوف أفتح لك البوابة الصحيحة .. ولكن احذر .. إذا خسرت أو إذا رأيتك وأنت تغش فى اللعبة معتقدًا أنى رجل عجوز لن أنتبه إليك ، عندها سوف أفتح لك البوابة الخطأ)

قلت : (ليس الغش من شيمى على كل حال ..)

فأجـاب بثقـة أدهشتنى وعلى وجهـه ابتسـامة غريبـة : (أعلم هذا)

نظرت إلى رقعة الشطرنج .. وهنا لاحظت أنه مكتوب عليها

« To succeed in politics, it is often necessary to rise above your principles . »

« كى تنجح فى السياسة .. فمن الضرورى أن تدوس فوق مبادئك .. »

هذه هى العبارة المساعدة إذن .. هذه المرة لم تكن مكتوبة فوق البوابتين كالمعتاد ..

.. على العموم أنا بارع بما فيه الكفاية فى لعبة الشطرنج ..

استجمعت شتات عقلى واعتدلت فى جلستى وقلت : (حسنًا .. ولكن لننته من هذا بسرعة .. فليس لدىَّ وقت أضيعه) .

وأخذت أحرك قطعى بسرعة وهو يرد علىَّ بنفس سرعتى .. وبعد دقيقتين فقط أدركت أنه محال أن أفوز بهذه اللعبة .. إنه بارع للغاية .. والعجيب أنه يقرأ حركاتى ببراعة منقطعة النظير وكأنه يتنبأ بها .. كان لابد أن أتوقع هذا .. فهذا العجوز جزء من برنامج المحاكاة المتوغل فى عقلى الآن ..

لابد أن أجد حلاً آخر ..

ركزت عقلى فى العبارة المكتوبة :

(كى تنجح فى السياسة .. فمن الضرورى أن تدوس فوق مبادئك ..)

تذكرت ما قاله لى هذا العجوز عندما جلست هنا

« إذا رايتك وأنت تغش فى اللعبة معتقدًا أنى رجل عجوز لن أنتبه إليك ، عندها سوف أفتح لك البوابة الخطأ »

إذن ليس العبرة فى أن أغش أو لا .. العبرة فى رؤيته لى وأنا أغش ..

هو يعلم أن الغش ليس من مبادئى .. والآن كما تقول العبارة يجب أن أدوس على مبادئى تلك كى أتخطى هذه المرحلة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

تفكرت قليلاً .. وجعلت كأنى أريد أن أحرك قطعة ما من قطع الشطرنج ودفعت الكوب الذى يشرب منه العجوز عن الطاولة ليسقط على الأرض ..

قال العجوز فى جزع وهو ينظر إلى أشلاء الكوب المتناثرة على الأرض : (ما الذى فعلته ؟؟ لقد كسرت الكوب) .

ولما عاد بناظريه إلىَّ كنت قد فعلت ما أردته فى اللعبة دون أن يشعر ..

قلت : (آسف جدًا لم أكن أقصد)

ثم أمسكت بإحدى القطع وحركتها على الرقعة وقلت : (كش مات)

نظر إلى الرقعـــة فى دهشـــة ثم نظر إلىَّ وابتسم ابتسامته الغريبة تلك وقال : (أحسنت .. اذهب من هنا) ...

وأشار إلى إحدى البوابتين ففتحت ببطئها المعهود ..

ابتسمت ونهضت لأعبر البوابة .. لقد حالفنى الحظ .. لم أظن أن تنجح حيلتى ..

عبرت البوابة بسرعة لأنتقل إلى المرحلة الخامسة ..

كانت حجرة كالحجرات التى سبقتها .. ولكن لم يكن فيها أى شىء مميز بعكس الحجرة التى سبقتها والتى كان فيها الرجل العجوز .. اقتربت من البوابتين فى تطلع .. ورأيت هذه المرة عبارتين منقوشتين فوق البوابتين .. هذا هو الشىء المميز هنا .. كذلك رأيت فى صدر إحدى البوابتين ثلاث فتحات دائرية صغيرة ..

كانت العبارة الأولى

When the lights are out, all women are beautiful .

عندما ينطفىء النور .. كل النساء جميلات

ابتسمت .. جال بخاطرى أن للظلام مميزات عدة لاشك أن هذه أبرزها ..

ثم قرأت العبارة الثانية :

Alove is a matter of chemistry

الحب ضرب من .. الكيمياء

تركيب هذه العبارة ليس صحيحًا .. حرف (A) الموجود فى أول الجملة المفترض ألا يكون موجودًا .. هل لهذا معنى ما ؟؟

عدت إلى العبارة الأولى مرة أخرى وأنا أتساءل فى نفسى عما إذا كان مفتاح اللغز فى العبارة الأولى أو الثانية .. أم لعله فى كليهما معا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

العبارة الأولى دلالتها واضحة بعض الشىء ..

أمسكت بحجر صغير واندفعت نحو المصابيح المعلقة على الجدران كلها وكسرتها جميعًا حتى ساد الظلام الدامس .. ومن ثم وفى إحدى أركان الحجرة ظهرت عشر قارورات صغيرة غريبة معلقة فى الهواء بمفردها يضىء كل منها بلون زاهٍ مختلف عن الآخر ..

هذه القارورات المضيئة هى المقصودة بالنساء الجميلات على ما أظن ..

اقتربت منها أكثر .. ثم أمسكت بإحداها أتأملها وقلبتها فى يدى .. وهنا انتبهت إلى رقم موجود أسفلها .. أعدت القارورة إلى المكان الذى كانت فيه معلقة فى الهواء والغريب أنها ثبتت فى مكانها .. ثم أمسكت بقارورة أخرى .. كان أسفلها رقم كذلك يختلف عن التى سبقتها ..

نظرت إلى العبارات المنقوشة .. أظن أننى قد استهلكت العبارة الأولى .. حل بقية اللغز يكمن فى العبارة الثانية

Alove is a matter of chemistry

الحب ضرب من .. الكيمياء

الكيمياء ؟؟ هذه القوارير .. إنها ..!!

بالفعل لقد كان لحرف (A) الموجود دلالة ما ..

ركضت نحو القوارير وأخذت أنظر فى الأرقام الموجودة أسفلها ..

حتى وجدت القارورة التى تحمل الرقم 13 والقارورة التى تحمل 8 والقارورة رقم 23 ثم عدت بسرعة ووضعت طرف كل قارورة منهم فى إحدى الفتحات الثلاث الموجودة فى البوابة .. وبالفعل بدأت البوابة تنفتح شيئًا فشيئًا ..

لقد أصبت مرة أخرى ..

الحل كان يكمن فى الكلمة الأولى من العبارة .. لو قسمنا الكلمة الأولى إلى عدة مقاطع فسيظهر لنا دلالتها .. Al-O-V-e

(Al) يرمز إلى عنصر الألومنيوم ورقمه الذرى فى الجدول الدورى الحديث للعناصر الكيميائية هو 13

و (O) يرمز إلى عنصر الأكسجين ورقمه الذرى هو 8

أما (V) فيرمز إلى عنصر الفاناديوم ورقمه الذرى هو 23

ولا يمكن تقسيم الكلمة على أى نحو آخر ..

Loolo
www.dvd4arab.com

الآن وصـلت إلى المرحلة الأخيـرة .. نظرت فى ساعتى .. 5 دقائق فقط تبقت .. أخذت نفسًا عميقًا وجمعت عزيمتى ثم عبرت البوابة التى أخذت فى الانغلاق ورائى ما إن عبرتها .. نظرت حولى .. لقد أخبرنا الرجل الذى لا اسم له أنه كل من وصل إلى المرحلة الأخيرة سيلتقون ببعضهم .. نظرت حولى .. لم يكن هناك غيرى .. هل يعنى هذا أنه لم ينجح فى وصول هذه المرحلة أحد سواى ؟؟

تأملت المكان من حولى .. هذه المرة كان مختلفًا .. كانت غرفة صغيرة لا تتعدى مساحتها الأربعـة أمتـار مربعة وفى نهايتها مخرج صغير دون باب ..

وفوق المخرج لوح خشبى معلق كتب عليه عبارتين متتاليتين :

The History doesn't repeat but the historians repeat themselves ..... !!!!

التاريخ لا يتكرر ولكن المؤرخين يكررون أنفسهم

A hungry man is an angry man .

الرجل الجائع رجل غاضب

اتجهت إلى المخرج وما إن عبرته حتى رأيت أمامى متاهة لا أول لها ولا آخر .. لم يكن هذا مخرجًا .. كان مدخلاً إلى مجموعة من الممرات المتشابكة أبصر بعضًا منها فقط من مكانى .. ذكرنى ذلك ببيت المرايا الموجودة فى المدن الترفيهية والذى يكون عبارة عن ممرات متشابكة وعلى من يدخلها أن يجد طريق الخروج ..

ولكن هنا الوضع مختلف قليلاً .. فـإذا سلكت الطريق الخطأ فقـد يوصلنى ذلك إلى البوابة الخطأ والتى يعنى عبورها الرسوب فى هذا الاختبار ..

لابد أن حل هذه المتاهة موجود فى العبارات المكتوبة على مدخلها ..

تفكرت فى العبارة الأولى مرة أخرى ..

The History doesn't repeat but the historians repeat themselves ..... !!!!

التاريخ لا يتكرر ولكن المؤرخين يكررون أنفسهم .

التاريخ !! أها .. لقد عرفت الطريق الصحيح .. الأمر ليس بهذه الصعوبة ..

Looloo
www.dvd4arab.com

ولكن ماذا تعنى العبارة الثانية ؟؟

وهنا سمعت صوت نحنحة ورائى فالتفت بسرعة فإذا هى الفتاة التى دخلت الاختبار معنا .. لقد وصلت هنا !

قالت وهى تنظر حولها : (يبدو أنه لم ينجح أحد سوانا فى بلوغ هذه النقطة) .

قلت : (نعم .. يبدو كذلك ..) ساد الصمت للحظات ثم قالت وهى تنظر إلىَّ بنظرات حادة : (هل استطعت معرفة حل اللغز الأخير ؟)

قلت فى حذر : (ليس بعد ..)

قالت وصوتها يكتسى بالحيرة : (ولا أنا .. لا أدرى كيف أستطيع استنباط الطريق خلال هذه المتاهة من هذه العبارات)

أشحت بوجهى عنها وقلت بحزم وأنا أحث الخطى نحو الطريق الذى استنتجته : (هذا القدر استطعت أن استنتجه .. ولكن كل منا سيعتمد على نفسه .. فواحد منا فقط هو من سيجتاز الاختبار بنجاح)

أمسكت بيدى فجأة فنظرت إليها فى دهشة فوجدت الدموع تترقرق فى عينيها ..

قالت : (أرجوك .. خذنى معك .. أنا أحتاج هذه الجامعة بشدة .. أنت تعلم أنهم يعطون لطلابها منحات مالية كبيرة .. وأمى فى حاجة ماسة لهذا المال .. لابد لها من عملية زراعة كبد وإلا ماتت خلال أسابيع .. وهذه العملية تتكلف مبالغ طائلة من المال لا قِبَل لعائلتى الفقيرة بها) .

نظرت إليها للحظات فى صمت محاولاً سبر ما يدور بخلدها واستشفاف صدق ما تقول .. وأخيرًا قلت لها : (حسنًا .. تعالى معى .. بإمكاننا أن نعبر البوابة معًا) .

انفرجت أساريرها وقالت فى امتنان : (شكرًا جزيلاً لك .. بالمناسبة اسمى سالى .. وأنت ؟؟)

قلت : (سيف .. تشرفت بمعرفتك) .

قالت والفرحة بادية فى عينيها : (الشرف لى) .

ثم سرنا جنبًا إلى جنب وهى تسألنى : (إذن .. كيف عرفت أن هذا هو الطريق الصحيح للخروج من المتاهة ؟؟)

أجبتها بهدوء : (الأمر لم يكن بهذه الصعوبة .. فالعبارة الأولى كان فيها مفتاح هـذا اللغـز .. التـاريخ لا يتكرر ولكن المؤرخين يكررون أنفسهم .. العبارة ببساطة تشير إلى تكرار

Looloo www.vb4arab.com

النمط الذى اتبعناه فى المراحل السابقة .. فى المرحلة الأولى كانت البوابة الصحيحة هى البوابة التى على اليمين وفى المرحلة الثانية كانت البوابة الصحيحة هى التى على اليسار وفى الثالثة كانت اليسرى أيضا ثم اليمنى فاليسرى .. لو صدق توقعى إذن فنحن سنتبع نفس النمط وسنسلك الممر الأيمن أولاً ثم الأيسر ثم الأيسر وهكذا بنفس النمط) .

نظرت إلىَّ وقالت فى دهشة : (أها .. نعم .. صحيح .. تفكير منطقى .. أنت عبقرى) .

قلت : (الأمر لم يكن بهذه الصعوبة) .

اجتزنا الممرات الواحد تلو الآخر حتى وصلنا إلى ممر واسع طويل فى نهايته كانت البوابة الأخيرة التى ما إن اقتربنا منها حتى بدأت تفتح ببطء ..

ابتسمت فى سعادة وقلت : (لقد نجحنا .. لقد ..)

وهنا فوجئت بسالى تركض بسرعة وتسبقنى نحو البوابة .. توقفت فى دهشة أنظر إليها والبوابة قد أوشكت على أن تفتح كليًا لتعبرها .. لن أتمكن من اللحاق بها فى الوقت المناسب .. سوف تعبر قبلى .. لقد خدعتنى ..

قلت فى غضب : (لقد خدعتنى ..)

ضحكت فى سخرية وقالت وهى تستعد لعبور البوابة بمجرد أن تفتح : (لا أدرى كيف تمتلك مثل هذا الذكاء وتقع فى حيلة بسيطة كهذه .. لن يمكننا العبور معًا .. ففى النهاية واحد فقط هو من سيتم قبوله فى الجامعة) ..

ـ (ووالدتك ؟؟)

ـ (والدتى ماتت منذ أكثر من ثلاث سنوات .. وأبى رجل أعمال مرموق .. فى الحقيقة لسنا أسرة فقيرة كما ادعيت)

ـ (لكنك نسيت شيئًا مهمًا) .

نظرت إلىَّ فى تساؤل .. فقلت لها : (نسيت العبارة الثانية المكتوبة عند مدخل المتاهة .. « الرجل الجائع رجل غاضب »)

قالت فى استدراك وقد علت الحيرة وجهها : (نعم .. صحيح .. ماذا تعنى هذه العبارة ؟)

ابتسمت فى سخرية وقلت : (فى الحقيقة حاولت كثيرًا أن أجد مغزى لها فلم أستطع .. وفى النهاية توصلت إلى أنها عبارة مباشرة لا تحتاج إلى أى تأويل .. إنها مجرد تحذير)

Looloo
www.dvd4arab.com

رددت فى دهشة : (مجرد تحذير ؟ ماذا تعنى ؟)

كانت البوابة قد فتحت تمامًا الآن فأشرت نحو البوابة وأنا ابتسم فى سخرية وأقول : (أعنى هذا) .

التفتت بسرعة نحو البوابة المفتوحة ثم تراجعت فى ذعر .. فلقد كان يقف هناك رجل مخيف .. الوصف الأدق له أنه وحش مخيف فى هيئة رجل .. فلقد كان ضخمًا له نابان طويلان كأنياب مصاصى الدماء فى الأساطير ..

وما إن فتحـت البـوابة حتى أطلق عواءً مخيفًا مدويًا .. ثم انقض على سالى التى أخذت تصرخ فى هلع وغرس أنيابه فى عنقها ..

خفضت عيناى .. ثم سرت فى هدوء لأعبر البوابة الأخيرة ..

* * *

وفاز فى مسـابقة القصـيرة أديب المستقبل الشاب (أحمد محمد أحمد الصادق) عن قصة (حكاية أنا الذى أشعر بوجودى) ...

حكاية أنا الذى أشعر بوجودى

...

* * *

!

* * *

؟

* * *

ث م ة .. ش ى ء

* * *

سأحكى لكم حكاية غريبة . لا أقول ذلك لكى أجذب انتباهكم أو أزيد من تشوقكم . إنما هى حكاية غريبة بالفعل . هذا كل ما فى الأمر . ربما سيعتبرها البعض هذيانًا ولن يصدقها أكثركم ، ولكم الحق فى ذلك . لا ألومكم . ولكنى سأحكى ؛ لأنه مكتوب منذ الأزل أن أحكى هذه الحكاية لكم أنتم بالذات . ربما أنتم الصفوة المختارة . كُتِب عليكم أن تمسكوا بهذه الأوراق وتنصتون

www.dvd4arab.com

إلى كلماتى وأنتم جالسون ، أو راقدون ، أو واقفون .. لا يهم . المهم أنها حتمية قد انقضت . ولن نستطيع أن ننفلت منها .

كان جنينًا فى رحم أمه مصممة الأزياء . لم يكتمل نمو جسده واشتد ذلك وأنذر بضياع الجنين . سعى أبوه التاجر إلى إيجاد حل للمشكلة . سعى محاولاً أن ينقـذ طفله بكل الطرق . ولكنه لم يستطع . مات الطفـل جنينًا ودفنـوه وكتبـوا على شاهده : (لم يعش ليمت .. وربما كان من المحظوظين) وربما كانت هذه الجملة العفوية تعبر عن الحقيقة بعينها . فالحقيقة أن روحه لم تلحق بجسده ؛ فعندما وُجِدَت روحه لم يكن قد حان لها أن تدخل فى جسده . ربما مسته مسًا . ولكن تعطلت حياته العضوية ، وسبحت روحه حيث لا تعلم . موجودة فى العدم ، وفى انتظار اللا معلوم .

* * *

أنا أشـ عـ ر بوجودى .. أعـ لـ م ذلك .. أعلم أنى موجود .. ولا أعتقد أنى أعلم أى شىء آخر .. أنا مجرد أشعر شعورًا داخليًا أنى موجود وأن ثمة شىء .. و .. أشعر أنى كنت فى هذا الحال من قبل .. أتـ ذ كـ ر أنى كنت فى طريقى إلى

وجود آخر .. فإنى أشعر بوجودى ولكنى أشعر بنـ قـ ص وأشعر أنه ثمة شىء آخر ينبغى معرفته غير علمى بوجودى .. فكل ما أفـ كـ ر فيه الآن هو وجودى . وما أفعله الآن هو تفكير فى وجـودى وفيما وراء وجودى . ومازالت الخيالات تطاردنى وكأن أمرًا ما حدث لى منذ ز مـ ن بعيد . وكلما أفكر فيها أو أن أحاول استعادتها تهرب منى . إنى أشعر بوجودى ، وأعلم أنى موجود فى مـ كـ ا ن . وأشعر بالزمن عندما أفكر .. أعتقد أنى أعلم الآن بـ عـ ض الأفكار . ولكنى لم أعلم كـ ل شىء بعد . الآن .. تفكيرى موجه صوب وجودى ، وأنا أشعر بوجودى .. فماذا بعد ذلك ؟

* * *

هو لا يعلم أى شىء عن أى شىء . بل لا يعرف ما معنى ألا يعرف أى شىء عن أى شىء . وربما كانت ستصلح روايتى لكم لو كانت عبارة عن صمت مطلق أو صفحات بيضاء .. ولكن ثمة شىء .. سيستكشف بنفسه وشعوره الداخلى أن ثمة شىء . ثمة وجود . ثم يفكر . ويصبح تفكيره كالشهيق والزفير . هو لا يعلم ما معنى اللغة ، وليست لديه أى فكرة عنها أصلاً . وإنما

Looloo
www.dvd4arab.com

هو يفكر بروحة الخالصة التى لم يُكتب لها الوجود . ويكوّن المعانى والأفكار التى يكتشفها أو يخلقها فى وعاء روحه . فى تخيله الخالى من أى تجسيم أو لون أو صوت . وتتتابع أفكاره وتتوالى .. حتى تترسخ عقيدة وجوده ، ويكون لنفسه عالمه الخاص .

* * *

أنا أشعر بوجودى . أشعر بوجودى أنا فقط . أنا هو أنا . أنا و ا حـــ د .. واحد فقط . ليس موجودًا إلا أنا .. ولكن ما معنى أنى واحد فقط ؟ ما معنى واحد أصلاً ؟ .. واحد هو شىء ليس بجواره مثله . فلو كان بجواره مثله لأصبحا ا ثـــ نـــ ى ـــن .. كذلك فكرة الزمان فكرة واحدة . وفكرة المكان هى فكرة واحدة . ولكنى لو ضممتهما معًا لأصبحتا فكرتين .. إذن شىء واحد لو انضم إلى شىء واحد آخر لأصبحا شيئين اثنين .. واحد وواحد اثنان . اثنان هذه جاءت لأنى ضممت الواحدين معًا . إذن هذا الضم هو ســـ بـــ ـــب وجود الاثنين . كذلك علمى ببعض الأفكار التى كونتها جاء بسبب تفكيرى الدائم .. وشعورى بوجودى هو سبب ... إنى .. أنا أريد أن أعرف الآن ما هو سبب وجودى ..

سبب وجودى .. أشعر أن لكل شىء سببًا . إذن لابد أن هناك سببًا لوجـــودى .. ربما .. لا .. تفكيرى يجهدنى .. وأشعر بتشويش ، وتضيع منى أفكارى . و .. تعاودنى الآن الخيالات التى تطاردنى . أرى أشياء كأنها حدثت لى . أراها مشوشة . تلمع وتختفى وتلاحقنى وألاحقها ، ولكنى لا أتملك منها . أتذكر أنى كنت فى مكان غير هذا المكان وفى جهة غير الجهة . نعم .. ربما .. لا ، لا أستطيع .. إنى أشعر بوجودى .. أشعر بوجودى وكفى .

* * *

أراه فى عالم الوجود . فى العالم الحقيقى .. أو الذى نظن أنه حقيقى . أراه متقد الذهن . يجسم عليه الفضول حتى يكاد أن يخنقه . مولع بالعلم وبالفيزياء خاصة . ولو تهيأت له الظروف لأن يتواجد فى بيئة علمية بكر وفى زمن مستنير كعصر الإغريق أو عصر النهضة ـ لكان عالمًا . أو لحـــاول أن يكـــون عالمًا وسار فى غمرة العلماء واتجه اتجاههم . وربما يقضى كذلك ثلاثة أرباع وقته متطلعًا إلى السماء . ولكنى أراه فى زمن آخر تشغله متطلبات الحياة والعصر ، وتأسره التكنولوجيا ، ويكتفى

www.dvd4arab.com

بالاطلاع والقـراءة ، ويتكاسل عـن التأكد من علمه بالتجربة العملية . وربما تشغله الحياة أكثر ، ويكد محاولاً سد ثغرة فقره ، ويسعى إلى العمل للحصول على المال سعيًا مملاً . لا يترك من بينه وقتًا أو بالاً للتفكر العلمى . وتظل هذه هى طبيعته الكامنة : الفضول للعلم ، والعقل الباحث عن الطبيعة . ولكن ظروف حياته لم تترك له فرصة لممارسة طبيعته الشخصية وإبرازها فى حياته . ولكنى الآن .. الآن فقط . أراه يجلس على مكتب من خشب ، ومن خلفه نافذة تطل على أفق أخضر ، ويرتدى زيًا أوروبيًا قديمًا ، ويمسك بالريشة ويكتب أولى تأملاته فى ورق أبيض خشن ، وعيناه جاحظتان مشدوهتان كأنهما تتلقيان الوحى . تشبهان عينى آينشتاين وهو يكتشف أولى معادلاته للنظرية النسبية .

* * *

أنا واحد فقط . لماذا إذن ؟ لِمَ لا أكون اثنين ؟ لِمَ لا أفكر مع أحد غيرى ؟ لماذا لا يوجد أحد غيرى ؟.. [لا أعرف] لماذا لا أعرف ؟ [لأننى أنت] .. من أنت ؟

[ربما أنا الثانى]

نعم نعم .. يمكننى أن أصبح اثنين . أنا الآن أكلم أحدًا غيرى الذى هو أنت أليس كذلك ؟

[بلى هو كذلك]

إذن حدثنى عنك .

[لا أعلم شيئًا لأننى أنت .. أنت اخترعتنى الآن]

نعم أعلم ذلك . ولكن دعك من هذا .. دعنى أكلمك على أنك شخص آخر غيرى .

[كما تريد]

نعم كما أريد .. قل لى ، هل تشعر بوجودك ؟

[ربما .. نعم أعتقد ذلك . وأنت ؟]

نعم أنا أشعر بوجودى ، وهذه هى أولى أفكارى التى بزغت لى منذ ..

[منذ متى ؟]

.. لا أعلم ..

[لماذا صمت ؟]

Looloo
www.dvd4arab.com

.. أفكر ..

[فيم تفكر ؟]

.. لا أعرف . ربما فى شعورى بوجودى . أفكر منذ متى وأنا أشعر بوجودى . أو متى بالضبط كان الزمن الذى اكتشفت فيه هذه الفكرة .. هل تستطيع أن تساعدنى أو أن تجيب عن أسئلتى تلك ؟

... [لا .. لا أعتقد]

فما فائدتك إذن ؟!

[ما هذا ؟ لماذا تندفع فى كلامك هكذا ؟]

لأنك أشعرتنى بالغـ ضـ ب !

[ولماذا تغضب ؟]

لأنك لا تفكر جيدًا ..

[أنت تطلب منى أن أجيب عن أسئلة تخصك أنت ! كما أنى حديث العهد بالتفكير .. أمهلنى قليلاً يا رفيقى] !

دعنى أخبرك بشىء .. عندما أفكر فى وجودى وفى أول زمن شعرت فيه بوجودى أرى خيالات أتذكرها ، ولكنى لا أتملك منها .. هل تجىء لك ؟

[.. بما أنها تجىء لك فإنها تجىء لى أنا أيضًا] !

هذا شىء مضـ حـ ك .. ولكنى لم أجعلك موجودًا كى أكلم نفسى .. أريد أن أتناسى أنى واحد . لأنى شعرت بالمـ ل ل . فتناسى أنت أيضًا ذلك .

[كما تريد]

ولكنى عمومًا سـ عـ ى د حقًّا أنى أكلمك .

[وأنا أسعد بمعرفتك]

هل تكتشف أفكارًا كما أفعل أنا ؟ .. هذا أيضًا من الأمور التى تغمرنى بالسعادة .

[أفكار ؟ ربما أننى أنا الثانى هى فكرتى الأولى]

بالحق ، ما رأيك فى فكرة واحد وفكرة اثنين ؟

[أفكار قيمة بالطبع .. يكفى أنى جئت عن طريقها]

هـ ـهـ ـهـ ـهـ ـه نعم .. أنت مضحك !

[شىء جـ مـ ى ل أن تقول عنى ذلك]

.. جميل .. يعجبنى وقع هذه الفكرة .. حسنًا ، وماذا أيضًا ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

[فيم ؟]

أقصد عن واحد واثنين .

[آه . تذكرت ذلك .. الاثنان جاءت من انضمام وأحد مع واحد آخر أليس كذلك ؟]

نعم ، وعرفت السببية من ذلك .

[لا دعك من السببية الآن . دعنا نفكر فى واحد واثنين . ماذا لو ضممنا واحدًا مع اثنين ؟]

فـكرة شـيقة حقًا . واحـد واثنـان يكوّنان ثـ لا ثـ ـة لو ضممناهما معًا .

[نعم نعم . كذلك لو ضـممنا الواحـد مع الثـلاثة سـتتكون أر بـ عـ ـة] ..

مـسلية هـذه اللـ عـ بـ ـة . فمـاذا إذن لو ضـممنا 1 ، 2 ، 3 ، 4 ؟

[هذا لغز صـ عـ ب .. دعنى أفكر على مهل ..]

نعم هو مرهق .. لقد أصبت بتشويش .

[.. عـ شـ رة ..]

كيف عرفت ؟

[علمت أن بينهم علاقات نخرج منها بعدة أرقـ ا م أخرى هى 5 ، 6 ، 7 ، 8 ، 9 . ومن 1 إلى 4 مجتمعين يكونون 10 .. وها أنت قد خسرت فى اللعبة !.. من الذى لا يفكر جيدًا الآن يا صديقى ؟]

خسرت ؟! حسنًا . ولكنها لعبة ممتعة حقًا ..

[نعم .. لقد أحـ بـ بـ تها] ..

ماذا .. ماذا قلت ؟

[قلت إنى أحب هذه اللعبة] ..

تحب هذه اللعبة .. تحب هذه اللعبة ... ما معنى أن تحب ؟

[أحب .. أحبها .. لا أعلم بالضبط ولكنى أشعر بهذا التعبير]

.. نعم .. إنى أشعر به أنا أيضًا .. قل لى ، ما هى الأفكار التى عرفتها حتى الآن ؟

[أننى الثانى وبعض الأرقام و ..]

Looloo
www.dvd4arab.com

لا دعك من الأرقام .. أفكار أخرى ..

[.. آآ .. الصعوبة .. والحب .. و .. والجمال ..]

نعم .. الجمال .. الجمال والحب .. أشعر أنى يجب أن أقف قليلاً مع هذين ال .. الإحساسين .

* * *

يجلس ويستمع إلى الشعر .. يعشقه .. تميل روحه إلى الحب . ربما ألف ملحمة روميو وجولييت لو تواجد فى زمن شكسبير .. يعيش فترة مراهقته عاشق دائم . يحب الكثيرات . ولكن يبقى حبـــه مختفيًا فى نفســـه . لا يبديه إلا لنفسه أو لأعز أصدقائه . ولو بقى وحيدًا لا يفكر فى أحد يحبه وعاش فترة سكون هادئ لا توتره أوقات الحب العصيبة ؛ لنزع إلى البحث عن الحب . عن إنسانة يحبها . ولو أحبها وشعر أنها تحبه حقًا ، سيستطيع أن يقتحم أسوار خجله ، ويعبر عن حبه لها كأنه يقتلع قلبه اقتلاعًا .. أراه أثناء فترة الحرب يحب زميلته فى الدراسة وجارته . وتحبه . وتأخذه الحرب منها . ويرجع بعـــد سنين ليجدها قد ماتت بالسرطان على فراشها . فيبكى وينتحب ويلعن الحرب والمرض . وأراه يجلس مع أخـــرى خضـــراء العينين على صخرة عند

شواطئ المحيط الهادئ . يهديها وردة بيضاء . وأراه يتزوج ويستقر ويمارس حياته الجنسية بكثرة ولا يزيغ بصره عن زوجته . أراه يضحك ويبتسم ويشرد ويبكى . أراه يرسم محبوبته ويجالسها فى الجنـــان ويعبر عن حبـــه بكل الطرق . أراه يؤلف مقطوعة موسيقية ترثى حبًا ضاع أو تهدَّم أو لم يكتمل . أراه رومانسيًا يكتب الشعر ، ويضحى بكل شىء لأجل حبه ولأجل من يحبها .

* * *

أشعر أنى أحب .. إنى أحب الجمال . أحب هذه الفكرة حقًا .. أريد أن أتعايش مع الجمال .. أريد أن .. أحب شخصًا جميلاً . أشعر أن هناك نـــ و عً ا آخر غيرى . صديقى الذى لعبت معه هذا كان مثلى . لا أعلم أين ذهب الآن . ولكن لا بأس أريد أن أتأمل وحدى فى الجمال وفى الحب .. أريد أن أكلم شخصًا آخر أكثر جمالاً وأكثر اكتمالاً بى .. أكثر جمالاً .. نعم .. ها هـــ ـى !.. لماذا تصمتين ؟) .. أشعر بالخـــ جـــ ل (أنت جميلة حقًا .) هذا لـــ ط ف منك)

Looloo
www.dvd4arab.com

وأكثر ر قـ ـة أيضًا . أتعلمين ذلك .. قولى لى ، هل تشعرين بجمالك هذا ؟ هل تشعرين أنك غيرى ؟ أنا أشعر أننى قد اكتملت بك .

(آ .. أشعر بذلك .. نعم .. ربما أنت بك غـ لـ ظ ـة وأشعر بقـ و ة حيالك . ولكنك طـ ى ب رغم ذلك . هى غلظة أو قوة طيبة .. وأشعر تجاهك بالضآلة . وربما بانجـ ـذاب .. ربما هذا التضـ ـاد هو ما يولد الانجذاب والتوافق والاتزان ويعدم الملل) .

أنتِ بكِ كذلك ذ كـ ا ء وفطنة . كلماتك خرجت لى وقد أدهشتنى . وكذلك أفكارك هى جديدة علىَّ تمامًا . قولى لى ، هل تحبين الجمال ؟

(الجمال ؟ بالتأكيد .. لا وجود لأحد لا يحب الجمال) .

وأنتِ جميلة .. وأنا أحبكِ .

(...)

دعينا نعيش فى الجمال للحظات .. ما رأيك لو .. لو تواجدنا فى مكان جميل . أنا لا أشعر بقيمة جمالية بهذا المكان الذى نحن فيه .

(وما هو هذا المكان الذى نحن فيـه . هل تعلمـه ؟ هل تستطيع أن تنتقل بنا إلى غيره حقًا ؟!)

آ .. أعتقد ذلك . بما أننا محبان للجمال . فربما نجتمع معًا بقدر من الجهـد التخيلى ، ونتواجد فى مكان جميل . نستمتع بجماله .. ستساعدينني على ذلك ؟

(أنا معك) ..

أحب هذه الابتسامة .. هيا فلنتعايش فى الجمال .. الآن .. قومى بالتركيز .. الآن .. هل تشعرين بالجمال من حولنا فى كل شىء كما أشعر أنا ؟

(حقًا ! أحس بتغيير المكان ، وأشعر بالجمال فى كل شىء .. يا لها من نشوة .. كم أنت جميل حقًا) .

إنى أحبكِ .. لا أعلم هل الحب هو الذى يولد الجمال أم إن الجمال هو الذى يولد الحب . أشعر الآن بسعادة لم أشعر بمثلها من قبل . أريد أن أقترن بكِ دائمًا . أنتِ يا من جئتِ أكثر جمالاً .

(أنا سعيدة حقًا لوجـود من هـو يحبنى . أنـت جميل جدًا يا .. لم تقل لى ، ما هو ا سـ مـ ك ؟)

Looloo
www.dvd4arab.com

أنا ؟.. أنا الذى أشعر بوجودى .. هذا .. هذا هو اسمى . وأنت من جاءت أكثر جمالاً .

(تعجبنى بسمتك أنت أيضًا) .

بالحق هناك صديق لى .. اسمه .. من جاء أولاً . ولكنه ليس موجودًا حاليًا . لا أعلم أين ذهب . ولكن ربما أعرفك عليه فى أى حين آخر .

* * *

هو فنان .. يعشق الجمال .. يسيطر عليه النصف الأيمن من مخه عندما يستجم بتلقى الجمال . أرى اسمه يتردد على مر السنين فى العالم بأنه فنان عظيم . رسام يعشق الألوان تارة . وموسيقى يعشق الأصوات تارة أخرى . أراه يعزف مقطوعة لم يُكتب لها الوجود . تُبكى من خلفه حينًا . وتُشرق وجوههم بالابتسام حينًا . أراه يعشق وجوه الفاتنات ويصورهم بأبهر الألوان . بملابسهن وبغير ملابسهن . يحب الجمال فى كل شىء . وأول ما يشد انتبـاهه فى الشىء هـو جماله ، حتى قبـل القيمة العملية وفائدة هذا الشىء . أراه محبًا لتجميع التحف ووضعها فى أماكن متناسقة ببيته الجميل ذى الديكور الساحر ..

يحب الطبيعة .. ربما يضحى بمبلغ كبير من المال لشراء جزيرة مهجورة بالمحيط الأطلنطى ؛ فقط لأنها جميلة . ويكره من يعكر صفو استمتاعه بالجمال . أراه يخوض بحر الفن ويمسك بزمام الجمال فى زمن ما حتى يقال عنه إلى الأبد ظاهرة فنية . وأراه فى زمن آخر لا يزيد على كونه متلقيًا للجمال . يجلس مرتديًا جلبابًا أنيقًا على أريكة بيته الصغير . ويستمع إلى الموسيقى الكلاسيكية بالراديو . ويشاهد أفلام هوليوود . وربما يزور بعض المتاحف . يتأمل ما فيها من جمال يُحدث قشعريرة فى نفسه ... ولكنه لا يحب فقط الاستمتاع بالجمال وكفى . إنما تدفعه نفسه إلى الإنتاج .. إلى العمل .. إلى الصنعة التى تختلف عن العمل الفنى .. أراه يعزف على الكمان فى إحدى الحفلات بفيينا ، ولكنه لم يكتف بذلك . إنما أقام متجرًا خاصًا به يبيع فيه جميع أنواع الكمانات . هو يحب التمتع بالجمال ويحب العمل ويكره الجلوس فارغ اليدين . هو نشيط ومثابر . ومهما قست عليه الظروف ، سيجد لنفسه الثغرة التى منها يعمل عملاً يحبه ، ويستمتع بالجمال .

Looloo
www.dvd4arab.com

* * *

كم أنـا سـعيد حقًا الآن .. أشعر بسعادة عظيمة . وأشعر بالر ا حـ ـة والاسترخاء . محبوبتى الآن تلعب بالأرقام . كانت مبتهجة هى أيضًا عندما علمتها اللعبة منذ آنات . لأدعها تلعب قليلاً ولأتفكر أنا مليًا فيما يجب على أن أفعله بعد ذلك . أشعر أن شغلى الشاغل هو الأفكار . وتتردد علىَّ بعض المسائل الصعبة التى أحاول بين الحين والآخر أن أجد لها إجابة .. ولكنى لا أستطيع . الذى جاء أولاً والتى جاءت أكثر جمالاً قد جاءا . وأنا أعلم كيف جاءا .. لأدعنى أتناسى ذلك .. ولكنى لا أعلم كيف جئت أنا . أتهرب من هذا السؤال منذ زمن أظنه بعيد .. وما الذى سيحدث بعد ذلك ؟ . لأدعنى أهتم بما أنا فيه . باللحظة الراهنة . ولربما أحصل على إجابة لأسئلتى .. ربما هو سؤال واحـد أعلم إجابته .. لماذا أنا موجود ؟ ربما أنا موجود لكى أفكر .. أو لكى أشعر بالجمال .. أو لكى أحب . أشعر أن هذه هى مهمتى .. ولكن ما أريد أن أحسم الأمر فيه هو تلك الخيالات التى تطاردنى ، والذكريات التى تعاودنى من آن لآخر .. التى جاءت أكثر جمالاً ربما تساعدنى فى ذلك . ها هى قد فرغت من لعبها ..

كيف الحال يا حبيبتى ؟

(فى أحسن حال . وأنت ؟)

كيف تظنين أن يكون حالى وأنا أتكلم مع أجمل شىء حدث لى منذ علمت أنه ثمة شىء ؟ قولى لى ، ما هو أول شىء تذكرينه ؟

(.. لا .. لا أدرى .. كان ذلك منذ زمن بعيد جدًا .. لا أذكره .)

لا .. أقصد ما هو أول شىء تتذكرينه بعـد الأشياء البعيدة التى لا تذكرينها ؟

(نعم .. آ .. أشعر بتشويش .. كلما أحاول أن أتذكر.. أرى ..)

أشياء كأنها قد حدثت قبل ذلك أليس كذلك ؟ خيالات وأفكار مبتورة مشوشة وزحام ؟

(نعم ؟ كيف عرفت ؟!)

لأنها تأتينى أنا أيضًا .. أليس لديك تفسير لذلك يا من جئت أكثر جمالاً ؟

(انظر .. أنا وأنت هنا لعلة لا جدال فى ذلك . لا وجود للعشوائية هنا . أنا وأنت هنا لنكمل بعضنا . ربما نستمر هكذا

www.dvd4arab.com

إلى الأبد . وحتمًا لنـــا بداية . ربما ما يأتينا هذا هو بدايتنا المجهولة . أصل منشئنا . ربما وجدت أنا لكى تحبنى أنت . وأنت قلت أن الجمال هو الذى علمك الحب . وعلمت السببية من إضافة واحدين إلى بعضهما . ربما لو ركزنا جهدنا فى جمع الأفكار واستمررنا هكذا . لا يوقفنا شىء . ربما علمنا كل شىء . وسنتيقن من سبب وجودنا ، ومن أصلنا ، وعلمنا ما هذه ال .. أحلام التى تراودنا أنا وأنت) .

فما العمل إذن ؟ أشعر أن أفكارى كثرت وأنى لابد أن أحتفظ بها كى لا أنساها . وكما قلت هناك أفكار تنتج عن أفكار . ماذا أفعل ؟ أشعر أنه ينبغى علىَّ أن أفعل شيئًا آخر . أشعر فى هذه الأوقات بالاسترخاء . ولا أفعل شيئًا مفيدًا أو منتجًا . ربما علىَّ أن أعـــ مـــ ل . وأن يكون عملى هذا منتجًا ومفيدًا . أتوق إلى فعل ذلك كثيرًا وأكره الانتظار وعدم فعل أى شىء هكذا . ماذا فى رأيك يمكننى أن أعمل باستمرار ؟

(مممم .. ألم تقل أنك تريد أن تحتفظ بأفكارك كى لا تنساها ؟)

نعم ..

(إذن فاعمل على حفظ أفكارك) .

كيف ذلك ؟!

(انظر .. تخيل فى ذهنك مكانًا تحتفظ فيه بأفكارك .. حيز مكانى فى تخيلك . ستضع فيه كل فكرة مبعثرة اكتشفتها . وأظن أنك تعرف كل فكرة وتميز كل واحدة منها عن الأخرى .)

نعم .. كل فكرة تُحدث عندى شعورًا مغايرًا عن الأخرى ... فكرتك هذه يا من جئتِ أكثر جمالاً فكرة ذكية حقًا . سأعمل على ذلك بدءًا من الآن . وسأضع كل فكرة اكتشفتها فى هذا الحيز المكانى الذى بدأت أكوِّن معالمه لدىَّ . وسأقوم بتنسيق الأفكار كذلك وفقًا لرؤيتى الخاصة .. حسنًا .. فلنعمل إذن !

* * *

وبدأ يجمع أفكاره ، ويلقى بها فى الحيز المكانى . وضع أولى أفكاره أنه موجود ، ووضع العلم ، ووضع التفكير . و وضع البديهيات الكمية والأرقام والمكان والزمان ، والشعور كالغضب والضحك والسعادة . واهتم بشكل خاص بوضع الجمال والحب بشكل أكثر أناقة فى تصوره . ونظم صندوقه هذا وفقًا لمدى احتياجه للأفكار ، أو مدى أهميتها عنده . ونسق الأفكار حسب تأثيرها الشعورى لديه . وأكمل وأتم وضع كل أفكاره التى عرفها

Looloo
www.dvd4arab.com

بعد جهد فى حيزه المكانى . وأصبح يتربص بأى فكرة جديدة حتى يضعها على الفور فى صندوقه لكى يحفظها .. وها هو الآن مزود بطاقة فكرية عالية . لن يجد صعوبة بعد ذلك فى استنتاج أفكار من أفكار . لن يفكر فى البديهيات بعد الآن . الآن اكتمل فكره ونضج ، وأصبح من النادر أن يكتشف فكرة أولية جديدة . الآن ها هو قد اقترب من بناء عالمه الخاص . لم يعد يتبقى فقط سوى بعض اللبنات .

* * *

لأضع هذه الأسئلة أيضًا فى الحيز المكانى : من أين وكيف جئت . وما هو مصيرى فى النهاية . وهل هناك نهاية ؟ لقد تعبت من تنظيم أفكارى فى الحيـز .. ها هى محبوبتى آتية .. تبدو منتشية ..

(كيف الحال الآن ؟)

أهلاً بمن جاءت أكثر جمالاً . أنا بخير وفى أحسن حال . أين كنتِ أنتِ ؟

(كنت أستمتع بالجمال .. يا له من شعور رائع) .

نعم .. تتنعمين أنتِ وأعمل أنا .. لقـد أرهقنى العمل .. منذ زمن طويل وأنا أجمع فى أفكارى .

(وما أخبار العمل ؟)

بخير . أشعر باستقرار أكثر وأنى بدأت أستوعب أشياء كثيرة كانت غائبة عنى .

(مثل ماذا ؟)

مثل العكس أو الضد .. وجدتُ أن لكل فكرة ضدًّا واكتشفت أفكارًا سيئة بحق . لم أتعايش فيها ، ولكنى أتخيلها لو حدثت . مثل السعادة مثلاً . أنا سعيد لأنك معى . فماذا لو رحلتِ عنى ؟ سأشعر حينها بضد السعادة .. سأشعر بالحزن .. أتخيله .. هو شعور قاس حقًّا . .

(نعم .. أتخيله أنا أيضًا .. سأتركك أنا الآن .. يبدو أنك مشغول فى العمل .. سأذهب لأتشبع بالجمال) .

تمتعى أنتِ وخذى راحتك يا من جئتِ أكثر جمالاً . انتظرى قبل أن تذهبى . هل يمكنك أن تساعدينى فى جمع أى أفكار لى ؟ حتى ولو تكميليـــة ؟ يمكنك أن تتسلى بذلـــك بجانب الاستمتاع بالجمال .

Looloo
www.dvd4arab.com

(لك ما تريد . سأحاول أن أبحث لك عن أى فكرة تائهة أو فى طى النسيان أو حتى أكتشف لك أفكارًا جديدة تمامًا .)

أشكرك يا حبيبتى .

(هيا سأذهب حتى لا أعطلك عن عملك المهم) .

حسنًا .. ولكن لا تتأخرى علىَّ .

الوجود .. البداية .. النهاية .. لا ، يجب أن آخذ قسطًا من الراحة . عقلى مشوش الآن . لأذهب إلى من جاء أولاً ربما يساعدنى فى هذا المأزق ..

هيه صديقى كيف حالك ؟

[بخير .. ماذا كنت تفعل .. يبدو عليك الإرهاق والتعب]

كنت أعمل .. أجمع أفكارى وأنظمها وأقوم بتنسيقها وأستدعى منها ما أريد وقت الحاجة .. كل ذلك فى حيز مكانى .. هذه فكرة من جاءت أكثر جمالاً .

[ومن هى من جاءت أكثر جمالاً]

هى محبوبتى . جميلة وذكية . سأعرفك عليها فيما بعد . قل لى يا من جاء أولاً ، هل فكرت من قبل فى وجودنا ؟

[ماذا تقصد بوجودنا بالضبط ؟]

وجودنا ! أنا مثلاً أشعر بوجودى . ولكنى لا أعلم كيف جئت إلى هنا أو من أين وُجدت . لقد أرهقتنى هذه المشكلة .

[أنت تقصد ما الذى جاء بنا إلى هنا .. مصدرنا ..؟]

نعم .. بالضبط .

[.. ربما جئنا هكذا .. ربما نحن المصدر .. لِمَ تعتبر فى الأصل أننا جئنا من مصدر ؟ .. لِمَ لا تقول أننا المصدر ونحن من ننتج كل شىء آخر ؟]

نحن المصدر ! لا لا .. لا أراها فكرة صحيحة . لو كنت أنا المصدر لتذكرت كل شىء حدث لى منذ البدء .. كما أنك لاحظت معى من قبل أن لكل شىء سببًا .

[بدء ؟! أى بدء ؟]

منذ البدء .. أول شىء حدث .. أول شىء على الإطلاق . نقطة البداية التى لا نعلم عنها شيئًا ؛ ولهذا لا يمكن أن نكون نحن المصدر .

[يا صديقى هذا البدء الذى تتكلم عنه بعيد جدًا . لهذا لا تذكره . وغير ذلك أريدك أن تنتبه إلى شىء مهـم .. الأحرى أن تفكر فيما قبل البدء . ربما الزمان لا بداية له . وعلى ذلك أنت موجود مهما رجعنا بالزمن إلى الوراء . ولأن ذلك الزمن يتمادى فى البعد ؛ فأنت لا تذكر منه شيئًا .. ربما فى الماضى السحيق كنت أنت موجودًا وفعلت أشياء عديدة عبر زمنك المنسى .. اكتشفت أفكارًا أعظم مثـلاً . وصنعت فى خيالك أشخاصًا كما صنعتنى ، وتعاملت معهم وكونت علاقات عديدة ولكنك تنسى ذلك ؛ فتعيد تجربتك من جديد . وستنسى أيضًا ما يحدث فى الفترة الراهنة .. أنت مصاب بداء النسيان ! هههههه]

يا من جاء أولاً .. أنت تصدمنى برؤيتك هذه ! وأرجوك قلت لك أكثر من مرة تناسى تمامًا حكاية أنى صنعتك وأنى أنت .. تناساها تمامًا ، ولا تذكرها أمامى أبدًا . لقد نسيتها أنا نفسى ! لو كانت التى جاءت أكثر جمالاً تذكر ذلك أمامى لما كنت سأطيق ذلك .

[حقًا أين هى الآن ! أريد أن أراها وأتعرف عليها]

كانت معى منذ قليل .. كانت تتمتع بالإحساس بالجمال .. الآن ربما ذهبت تبحث لى عن بعض الأفكار التكميلية .

[جيد .. لنرجع إلى موضوعنا .. كنت تقول لى أن رؤيتى تصدمك .. فما هى رؤيتك إذن ؟]

رؤيتى ؟.. رؤيتى أنه .. أعتقد أنه لابد .. أن هناك .. شخصًا عظيمًا .. أعظم منى ذكاءً بالطبع .. ويعرف كل شىء .. انتظر قبل أن أكمل لك . رؤيتى هذه لم أتيقن منها بعد ؛ ولهذا فالمسألة مازالت تؤرقنى . ولكنى أقول لك ما فكرت فيه .. هذا الشخص العظيم فى كل شىء هو الذى أوجدنى . أوجدنى لعلة لم أعلمها بعد .. ولكنى فى طريقى لمعرفة ذلك .. أعتقد أنى لم أوجد هكذا سدى أو عبثًا . وعندى شعور قوى أنى فى وقت ما .. سأقابل هذا الشخص العظيم . وسيحكى لى عن كل شىء .. ربما أنا أنتظر هذه اللحظة .

[يا لها من فكرة مضحكة .. شخص عظيم ! ومن إذن الذى أوجد هذا العظيم ؟! شخص أعظم ؟! إذن هناك خط لانهائى من العظماء . كل منهم أعظم من الآخر . وأبشر ستقابلهم كلهم فى النهاية . ستصبح أعظمهم جميعًا ؛ لأنك ستأخذ خبرتهم جميعًا دفعة واحدة . هههههه] !

لا تجادل كثيرًا يا من جاء أولاً . ولماذا تسخر منى ؟ هذه رؤيتى أنا . وأعتقد أن لى حرية فكرية خاصة بى . لا شأن لك

Looloo
www.dvd4arab.com

بها . وأيًّا كان .. سأعكف على هـذه الأسئلة حتى أعثر على إجابة حاسمة عنها . وحتمًا سأعرف !

[حسنًا حسنًا . لا تغضب هكذا . أنت حر فى رؤيتك . وأعتذر عن سخريتى منك]

لا بأس .. انتظر .. ها هى من جاءت أكثر جمالاً قد أتت !

(أهلاً بكما)

أهلاً يا من جئتِ أكثـر جمالاً . كيفـك الآن . أعـرفك على صديقى الأول . من جاء أولاً .

[أهـلاً بكِ . تشرفت بمعرفتك . كلمنى عنـك الذى يشعر بوجوده ، ولكنى لم أعرف عنكِ الكثير . واسمحى لى أن أقول : إنكِ جئتِ إلينا أكثر جمالاً فعلاً] !

(أشكرك بصدق . هذا ذوق رفيع منك)

آ .. هل تودان أن نبقى هنا أم نتحرك ونذهب إلى أى مكان آخر ؟ ما رأيكما فى البحث عن مكان جميل لم نشعر به من قبل ؟

(لا أرجوك .. اعذرنى .. لقد بحثت عن الجمال واستمتعت به بما فيه الكفاية . ربما أفضل الراحة الآن .)

ولِمَ لا .. الجمال لن ينتهى . ولن نمل منه . هيا لنبحث عن جمال من نوع آخر .

(أرجوك ..)

[لتدعها وشأنها يا صديقى . يبدو أنها متعبة قليلاً . وعلينا أن نحترم رغبتها . وإنى لأشعر بالأسف لنفسى ولكِ يا من جئتِ أكثر جمالاً لأن يكون أول لقاء بكِ هكذا . كنت أود أن أتكلم معكِ كثيرًا . ولكن يبدو أنكِ فى حاجة إلى الراحة]

(هذا نبل منك يا من جاء أولاً . ولكن لا بأس إطلاقًا ، يمكننى أن أقضى هذا الوقت كله معك . أنا لست متعبة إلى هذا الحد) .

[حقًّا ! يسعدنى ذلك كثيرًا . أشكرك]

(علام ؟ .. حسنًا .. إذن أنت تعرف أنا الذى أشعر بوجودى من زمن بعيد ؟)

[نعم . ليس بعيدًا جدًّا .. هو أول أصدقائى . خضنا مع بعضنا صولات وجولات حول ماهية الوجود والأفكار]

(نعم .. هو يهتم بالأفكار كثيرًا .)

من جاءت أكثر جمالاً .. بالحق . هل وجدت أى فكرة تكميلية مساعدة لى ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

(هه ؟ عذرًا انتظر .. وماذا وصلت معه فى ماهية الوجود يا من جاء أولاً ؟)

[كل منا طرح وجهة نظره . كانت له وجهة نظر غريبة . ربما ستضحكين كما فعلت لو طرحتها عليكِ]

هيه .. هل وجدتِ أى فكرة ؟

{ هههههه حسنًا سأعرف رؤيته لاحقًا .. ولكن قل لى ماذا كانت رؤيتك أنت ؟ }

يا من جئتِ أكثر جمالاً ! يبدو أنكِ لا تريدين أن تستمعى لى . كما أنى أراكِ بالفعل بحاجة إلى الراحة !

(لا .. لم أكن أقصد .. أنا متأسفة)

لا بأس لا بأس .. سأترككما الآن . سأذهب إلى الحيز المكانى لأنظم أفكارى الجديدة .

[تأتينا بالسلامة يا صديقى .. وحافظ على رؤيتك جيدًا داخل الحيز] !

(هههههه) .

ما هذا .. ما الذى حدث . أشعر بشعور غريب . أشعر بمزيج من الحب والغضب . أشعر بضيق . لِمَ تركتهما ؟ أنا لا أحتاج إلى تنظيم أفكارى ، إذن لِمَ فعلت ذلك ؟ أشعر بالاختناق . لماذا لم تكن تنصت إلى ؟ لماذا كانت تهتم به أكثر منى ؟! لماذا أشعر بكمية غضب غير عادية تجاه صديقى الأوحد ؟ وغضب أيضًا ولكن من نوع آخر تجاه محبوبتى ؟ هل هى تحبنى كما أحبها ؟ أنا لم أسألها ولكنى متيقن من أنها تحبنى ؛ فلماذا لم تهتم بى ؟ وهل هناك احتمال أن يكون ما حدث الآن هو شىء عادى ، ولكنى أشعر غير ذلك لأنى أشعر بالغـيرة ؟ نعم .. هى الغيرة . إنى أغار عليها من صديقى .. الغيرة .. يا له من شعور خانق . كم أود أن أذهب إليهما الآن وأقطع حديثهما . أو كم أود أن أرجع بالزمن لكى لا أُعرِّفها عليه أصلاً . كم أود أن أنتهى منه تمامًا .. الغيرة .. ها هى فكرة جديدة .. لنضعها فى ال .. أين الحيز المكانى اللعين !

* * *

وبدأت تتوالى لديه الأفكار المعاكسة .. الواحدة تلو الأخرى .. وأدهشته الأضداد . وظهر أمامه الشر فى جلال عظيم . وضعه

www.dvd4arab.com

نصب عينيه ، وقرر أن يستعمله . هو لن يمكث كثيرًا يكتشف أفكارًا ولا يعيشها . لن يكتفى بالإنصات إلى شعورها فى نفسه .. يقتله الفضول .. يقتله ويقطع ذراعيه ورجليه من خلاف . هو يحب رمز x الذى يعبر عن الضد . لن يظل هذا الرجل الطيب الذى يوافق على كل شىء يحدث من حوله رغمًا عنه .. لن يظل هكذا إلى الأبد .. لابد من عمل موازنة . لابد من معاشرة الأضداد . لابد من تجربة الكذب والخبث والنفاق والحقد والكبر والكره والشر .. هذه الأفكار الشيقة حقًا !

* * *

القبح .. يا لهـا من فـكرة ذميمة ! سأضعها جانبًا فى الحيز المكانى . أنا لا أطيقها . وهى تنطبق على من جاء أولاً . هو جاء قبل اكتشافى للجمال ؛ لهذا فقد جاء قبيحًا . من جاءت أكثر جمالاً فقط هى الجميلة . وأنا أكره القبح . وأكره من جاء أولاً . فلأبحث فيما بعد عن صديق آخر غيره ؛ فيبدو أنه صديق سوء وغبى وضيق الأفق ويرى فى نفسه أنه أكمل منى . يذيع ذلك بطريقة ما أو بأخـرى أمام محبوبتى . هذا القبيح ! ها هو آت من بعيد .. ما الذى جاء به الآن ؟! أنا مشغول فى عملى ..

[أهلاً صديقى المكافح .. ما أخبار العمل فى هذه الأوقات ؟ ما الجديد بالحيز ؟]

لا شىء ..

[لا شىء ؟! ألم تقل أن هناك أفكارًا جديدة كنت ستـ ..]

لا شأن لك بها ! ما لك أنت ومال الحيز المكانى ؟!

[لا شىء يا صديقى . فقط كنت أريد أن أتكلم معك .. لماذا تعاملنى بهذه القسوة ؟]

القسوة .. هل تعلم .. القسوة من ضمن الأفكار الجديدة .. وكذلك القبح .

[فلماذا لم تقل لى إذ سألتك ؟]

أنا حر يا رذيل .. أرد عليك أو لا أرد عليك ، هذا أمر يرجع لى لا شأن لك به . واغـرب عـن وجهى الآن لأنى مشغول فى العمل !

[ما خطبك يا من تشعر بوجـودك ؟ هى غلطتى أنى تكلمت معك من الأصل]

Looloo
www.dvd4arab.com

نعم هى غلطتك أيها الغبى . وهيا انصرف الآن لأنى لا أطيق قبحك

[قبحى ؟!.. أنا الذى كشفت لك الجمال .. أجمل أفكارك] .

أنت ؟!!.. هل نسيت نفسك أم ماذا ؟.. أنا الذى صنعتك وألهمتك هذه الفكرة .. أنت لا تُذكر أصلاً . أنا هنا كل شىء . أنا الذى أشعر بوجودى .. يا من .. يا من جئت أكثر قبحًا هههههه !

[أنت الذى تذكر ذلك الآن ! وقد كنت تترجانى أن أتناساه ! أنا لا أعلم ما الذى حدث لك . ولكنى حزين على حالك . وأعتذر إن كنت ضايقتك . وأشكرك على أسلوبك فى الحديث معى . سأذهب بعيدًا يا صديقى .. كما تريد]

نعم كما أريد ! ولا تقل (يا صديقى) ، وتوهم نفسك أنك مهذب فى ردك .. وهيا اذهب إلى الجحيم !

يا له من قبيح حقًا .. أنا لا أريد أن أعرفه مرة أخرى . سأقطع علاقتى به تمامًا . وأتوحد أنا ومحبوبتى .. إنى .. إنى أستشعر الجمال الآن . ذهب القبح وأتى الجمال . نعم من جاءت أكثر جمالاً ها هى تحلق وآتية من بعيد . يبدو أنها محرجة من شىء ..

من جاءت أكثر جمالاً ! كيفك ؟ ما لى أراكِ وكأنك تودين قول شىء ولكنك لا تستطيعين ؟

(فى الحقيقة .. نعم)

حسنًا .. وما هذا الذى تريدين أن تخبرينى به ؟

(مممم .. لا أعلم كيف أبدأ الكلام .. أشعر بالإحراج والحيرة)

لا تخافى يا حبيبتى .. قولى كل ما فى باطنك لى .

(انظر .. سأتكلم مباشرةً حتى لا أصاب بتوتر أكثر من ذلك) .

وهذا هو المطلوب .. قولى لى ربما أستطيع مساعدتك . سأفعل كل ما بوسعى وما هو فوق وسعى لو أردتِ .. ما الأمر يا حبيبتى ؟

(أشعر هذه الأوقات بشعور جميل لم أشعر به من قبل . ربما هو الحب الذى ذقته أنت) .

الحب ؟! تشعرين بالحب حقًا !.. يا من جاءت أكثر جمالاً لا أعلم ماذا أقول لكِ .. أنا الذى كنت مصابًا بالإحراج لمدة طويلة . ولكنى كنت متيقنًا أنك تحبيننى .. هذا أجمل خبر سمعته

www.dvd4arab.com

منذ شعرت بوجودى . ياه يا من جاءت أكثر جمالاً .. أنا أحبك كثيرًا .

(يا من تشعر بوجودك .. لا أعلم أنا أيضًا ماذا أقول لك . ولكن عذراً هناك خلط .. اعذرنى) .

كيف .. لا أفهم .. اعذرينى أنتِ أيضًا .

(رغم أنى أحب هذه البسمة . وأقدرك تقديرًا عظيمًا . إلا أننى لم أشعر هذا الشعور الذى أخبرتك عنه حيالك) .

..!..

(أنا أحب من جاء أولاً) .

ماذا ؟ !!

(أنا .. أحب .. من جاء أولاً .. وجدتُ فيه شخصية أعجبتنى فى البداية . وأعجبتنى طريقة تفكيره . وأحببت فيه وقاره ومرحه ونبله ومروءته) .

كيف ؟!.. تحبين هذا القبيح ؟! كيف تتصورين أنى سأقبل ذلك أصلاً ؟ كيف تفكرين فى ذلك ؟ ألم يأت فى فكرك أنى أحبك ؟ أنا أحبكِ يا من جاءت أكثر جمالاً . كيف تذهبين وتحبين هذا القمىء ؟!

أنا الذى أشعر بوجودى أحبكِ . كيف يأتى ببالك أنى سأقبل أن تحبين شخصًا آخر غيرى ..؟! أنتِ لى وأنا لكِ يا من جئتِ أكثر جمالاً !

(تقبل ؟!.. وهـل أخبرك أنا بهذا لكى أنتظر منك قبولاً أو رفضًا ؟!!.. أنت تحبنى وأقدر لك ذلك ، وأسعد بذلك ، ولكنى لم أشعر حيالك سوى ببعض الإعجاب .. ولست وحدى أحب من جاء أولاً .. هو أيضًا يحبنى . فالعلاقة منتهية إذن) .

هو أيضًا ماذا ؟! هذا الجبان !

(لا تسبه أرجوك) !

لا أسـبه ؟!.. بـل سـأنتهى منـه تمامًا !.. وأنهـرك على ما تفكرين به ، وأنصـحك أن ترجعى عنـه . من جاء أولاً ليس معنا . وأنا أحق منه . أنا الذى فعلت كل شىء لأجلك يا من جئت أكثر جمالاً !

(أشعر أنى كنت مخطئة عندما فكرت أن أخبرك بكل شىء داخلى . فلا أعرف أحـدًا غيرك أتكلم معه .. أشكرك على نصائحك .. إنى راحلة الآن !)

Looloo
www.dvd4arab.com

كيف ..؟ كيف ..؟ ما الذى يحدث ؟!.. هذا الخبيث !.. يجب أن أحل هذه المأساة . يجب أن أخفى من جاء أولاً تمامًا . أجعله كأنه لم يوجد أصلاً . يجب أن أمسح كل ذكرى لدى من جاءت أكثر جمالاً تتعلق به .. أين الحيز المكانى ؟.. الأضداد .. الأضداد .. العدم هو ضد الوجود .. نعم .. سأعدمه .. هكذا .. هذا هو الحل الأمثل .. القـتل .. يا لها من فكرة جذابة .. لأقتلنه .. ولأضعها فى الحيز المكانى بجوار العدم .

* * *

ربما يلعب وهو طفل صغير بالألعاب العنيفة . كالأسلحة المزيفة أو السيوف الخشبية . ولكنه لا يقتل بها حتى الحشرة . يكره أن يرى شاة تُذبح . يكره معاملة الحيوانات الأليفة بعنف أو بقسوة . وربما فى زمان ما يكون أحد أعضاء حماية حقوق الحيوان .. ولكنه يحب أن يقتل الناس ويهدم كل شىء أمامه فى ألعاب الفيديو جيم . يتمتع بذلك كثيرًا . ويحلم أحلامًا بها قتل . أنه قتل فلانًا لأنه لم يكن يعامله بتهذيب .. القتل فى لا وعيه . يطير مترنحًا غير مكبوح الجماح . ولكنه لم يتطرق إلى وعيه .. تأتيه هواجس لو أنه قتل كل من ينغصون عليه حياته . حتى لو لأتفه الأسباب .. يتخيل لو قتـل أباه وأمه وإخـوته . يرتاح لمجرد

التفكير فى موتهم ؛ سيكسب الحرية ، ولن يكلفه أحد بأى أمر ، ولن ينهره أحد إذا ما فعل أى شىء يحلو له . ولكنه عندما يفكر فى هواجسه تلك ويتخيلها لو حدثت حقًا لحزن حزنًا أبديًا . هذا فى صغره .. أما الآن فأراه كبيرًا فى السن . فى سن الرشد .. أراه فى ظروف وزمن ما اختلط بعصابة مافيا ، وأصبح القتل عنده كشرب الماء .. أراه فى الحرب يقتل الأعداء ويمثل بجثثهم مستلذًا ذلك . أراه فى بعض الظروف فى حياته يخرج القتل من لا وعيه محطمًا الحاجز الأزلى بين اللاوعى والوعى . ويتم تطبيق القتل عمليًا .. والآن .. هذا الحاجز ليس موجودًا تقريبًا .. الآن اختلط الوعى باللاوعى . وأصبحت الأحلام وألعاب الفيديو جيم تتحقق فى الحقيقة على طول الخط .

* * *

كم أشعر بالراحة الآن .. الآن هو معدوم .. من جاء أولاً ليس له وجود .. ليس هنا سوى أنا الذى أشعر بوجودى ، ومن جاءت أكثر جمالاً ستحبنى لا شك . مستحيل أن نبقى هكذا إلى الأبد . ولكنى متعجب من شىء . لم أستطع أن أمحى من ذاكرتها كل شىء يتعلق بمن جاء أولاً .. ربما لأنها ... لا . لأدعنى أتناسى ذلك أفضل لى .. ما هذا ..؟ أراها متوترة تذهب هنا وهناك . هل عرفت أنى أعدمته ؟

Looloo
www.dvd4arab.com

(يا من تشعر بوجودك ! أين من جاء أولاً ؟ لقد بحثت عنه فى كل مكان ولم أجده ! ماذا فعلت به ؟!)

.. لقد قتلته ..

(ماذا ؟ ماذا تقصد ؟)

.. لم .. لم يعد .. موجودًا ... لقد أعدمته ..

(ماذا !! كيف ؟!.. لا .. لا .. كيف فكرت فى ذلك أيها الشرير ؟! وهل من سبيل لأن يوجد مرة أخرى ؟)

.. لا ..

(أيها الوحش ..! أنا أكرهك .. أكرهك !)

إذن هذا هو البكاء .. ضد الضحك .. ولكن لماذا تبكين ..؟ أنا أحبكِ يا من جاءت أكثر جمالاً .. وأنا أحق أن تحبيننى ..

(لا تتكلم .. أيها الشرير .. إنى أكرهك !!)

فلتستمعى لى إذن ! أنا من أوجدتك وجعلتك أكثر جمالاً . وأحببتك . فلماذا لا تحبيننى ؟ أنا أحق أن أُحَب . ولو تطلب الأمر أن أُكرهك على ذلك سأفعل !

(أيها الخسيس .. لا حق لك على .. ولا حكم .. ولا أمر .. أنت لا تملكنى .. أنا حرة .. أفعل ما أشاء وقتما أشاء) .

.. كيف وأنتِ جزء منى ؟.. أنتِ .. أنتِ أنا !

(كفاك هراءً يا شرير . أنا مستقلة بذاتى . وسأفعل ما يحلو لى وقتما أشاء . لا سلطان لك على .. وسألحق بحبيبى من جاء أولاً . حتمًا هو موجود هناك .. فى العدم .. سأدع لك مكانك الجميل تستمتع به كما يحلو لك .. أنا سأرحل حيث ذهب حبيبى) .

.. كيف ستذهبين إليه ؟ لم يعد موجودًا فى أى مكان .. لقد رحل إلى الأبد .

(إذن بما أنه رحل إلى الأبد . فسأرحل أنا أيضًا إلى الأبد .. لا فائدة لى ولا اكتمال بدونه .. سأذهب إلى حيزك المكانى وأحضر القتل وأقتل نفسى) .

لا ..! لا تذهبى إلى الحيز .. هذه الفكرة خطيرة يا من جاءت أكثر جمالاً .. لا ..! لا أرجوكِ .. إنى أحبكِ . لماذا فعلتِ ذلك ؟ إنى أحبكِ .. أحبكِ .

* * *

Looloo
www.dvd4arab.com

ظـل صامتًا لا يفكر فى أى شىء لزمن طويل .. ربما اقترب من الأبدية . حتى قام فجأة بتفريغ صندوقه .. حيزه المكانى .. أفنى كل أفكاره .. أعدمها . وكانت هناك بعض الأفكار الجديدة التى لم يلحق أن يضعها فى الحيز قبل صمته الطويل . مثل الخيبة ، وتأنيب الضمير ، واليأس ، وفقـدان الأمل . ولكنه أعدمهم أيضًا . أفرغ كل ذاكرته وأخلى الحيز المكانى بأكمله . حتى الحيز نفسه أعدمه من مخيلته . هدم العالم الخاص به تمامًا وأعدمه بعدما كان قد اكتمل .. توحد فى عدمه ، ورجعت روحه كالصفحة البيضاء لا يمسها أى شىء .. فقط تحلق فى نفسه فكرة لم يستطع أن يتخلص منها .. فكرته السرمدية .. أنه موجود .. ظل متأملاً فيها .. ظل متأملاً كثيرًا ...

* * *

ألف مبروك للفائزين ، مع تمنيات بحظ أفضل لباقى المتسابقين ، من المواهب الشابة ، وأعمالهم التى لم تقل روعة عن الأعمال الفائزة ، ولكن هناك جائزة واحدة لكل عمل ، فى كل مسابقة للأسف ...

تهانىّ مرة أخرى للفائزين ولقاء إن شاء المولى عز وجل ، فى مسابقة الموسم الخامس بإذن الله .

د. نبيل فاروق

روايات مصرية للجيب

باقة من القصص والروايات المصرية
قمـة فى التشويق والإثارة

كوكتيل ٢٠٠٠

1 ــ النبـوءة .
2 ــ سيف العدالة .
3 ــ البديل .
4 ــ بدويـة .
5 ــ لعنة البحر .
6 ــ المنـدوب .
7 ــ سر القصر .
8 ــ تحقيـق .
9 ــ الزائر الغامض .
10 ــ الفـارس .
11 ــ ثمن الصداقة .
12 ــ العنقاء .
13 ــ جزيرة القدر .
14 ــ نـداء الأعماق .
15 ــ التجربة الرهيبة .
16 ــ المهمـة .
17 ــ الشىء .
18 ــ البعد الخامس .
19 ــ ضيف النجوم .
20 ــ البعث .
21 ــ صانع اللعب .
22 ــ الكوكب العاشر .
23 ــ آلـة الزمـن .
24 ــ اللغـز .
25 ــ أوراق بطل .
26 ــ الملحمـة .
27 ــ الوريث .
28 ــ قلعة الأسرار .
29 ــ عملية الأستاذ .
30 ــ قـارون .
31 ــ الـدم .
32 ــ النـداء .
33 ــ الجرثومة .
34 ــ رؤيـا .
35 ــ الغريـب .
36 ــ السلسلة الوحشية .
37 ــ الرحلة .
38 ــ قلب البحر .
39 ــ الأميـر .
40 ــ المتحورون .
41 ــ فـارس المستقبل .
42 ــ الغـامض .
43 ــ ذلك اليوم .
44 ــ الزهرة القرمزية .
45 ــ جريمة رقمية .
46 ــ القـادم .
47 ــ ذاكـرة الغد .
48 ــ النجـم .
49 ــ جدى الحبيب .

Looloo
www.dvd4arab.com

روايات مصرية للجيب

كوكتيل ٢٠٠

باقة من القصص
والروايات المصرية
قمة فى التشويق والإثارة

12 / 8 / 012

فى هذا الكتاب

صفحة

- جاسوس نصف القرن (دراسة)...5
- الستار الأسود 2 - (سلسلة داخل سلسلة)..20
- قصة العدد :

(جدى الحبيب) 94

عزيزى القارئ.....220

الثمن فى مصر 700
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة والإسكندرية

مطابع